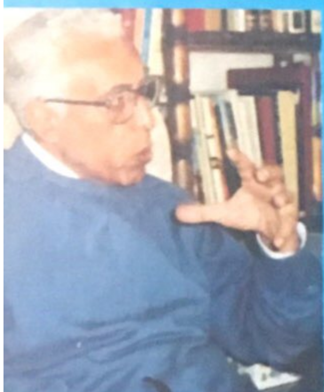
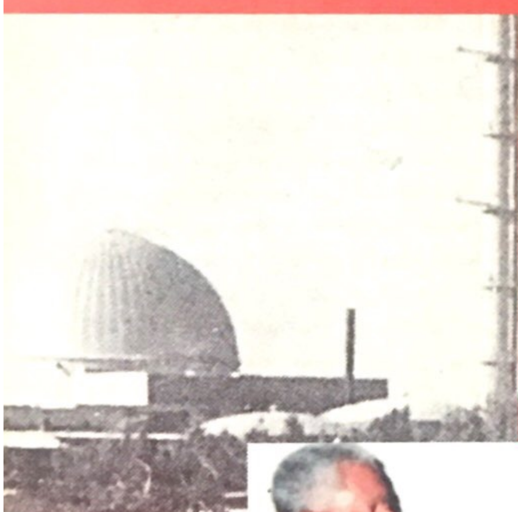
سياسية عربية
كل خميس للجماهير

الهدف
AL HADAF



«الهدف» تحاور

الروائي الكبير عبد الرحمن منيف



العراق والحرب بوسائل اخرى

الحصار: نفط.. ديمونة وامور اخرى



اللوحة الصغيرة

هل تشكل جنساً فنياً قائماً بذاته؟!

علي الكردي

معرض اللوحة الصغيرة في صالة السيد، الذي جمع عدداً من الفنانين التشكيليين الذين لهم حضور متميز على ساحة الفن التشكيلي (محمد الوهيبي، حمود شنتوت، هالة الفيصل، وليد الآغا، علي حسين، جورج ماهر...) أثار أكثر من تساؤل: فأولاً ما معنى أن يجتمع عدد من الفنانين المميزين في معرض واحد قاسمه المشترك اللوحة الصغيرة؟!

وهل ثمة مواصفات فنية خاصة، مثلاً، تدفع الفنان إلى الإشتغال على لوحة صغيرة؟! وهل اللوحة الصغيرة هي لوحة تشكيلية مكتملة العناصر والبناء، أم أنها مجرد دراسة أولية للوحة كبيرة قادمة على الطريق؟

هل هناك مثلاً، قواعد فنية، وحالات شعورية خاصة تدفع الفنان إلى الشغل على هذا الحجم، كما تلك القواعد التي تدفع الكاتب إلى كتابة القصة القصيرة ـ مثلاً ـ كجنس أدبي متميّز ومستقل؟





مشروعية مثل هذه الأسئلة تأتي من احتمال أن يكون ثمة دوافع أو أسباب تعتمل في دواخل الفنان تدفعه إلى الشغل على مثل هذه اللوحة، وذلك بغض النظر عن وعيه لحالته النفسية، أو عدم وعيه لهذه الحالة، ثمة أسئلة أخرى عن المراحل التي تمر بها اللوحة الصغيرة، فهل تستغرق مثلاً نفس المراحل التي يستغرقها العمل على اللوحة الكبيرةأم تأتي فكرتها كومضة شعورية خاطفة، يفرّغها الفنان على القماشة بسرعةٍ تتناسب، ربما، مع هذا التوتر العاطفي، الإنفعالي، الشديد الذي يولد لحظة الإبداع.

من جهةٍ أخرى، ما هي الموضوعات التي تعالجها اللوحة الصغيرة فهل تحتمل مثلاً موضوعات ملحمية، معقدة، أم هي خزعة تكثّف حالة معينة وتعبّر عنها.

ربما الإجابة على التساؤلات السابقة تحتاج إلى ريبورتاج موسّع مع الفنانين أنفسهم، ليتحدّث كل منهم عن ميّزات هذه التجربة وخصائصها ودوافعه للإشتغال عليها، لكن من ناحيتنا، لاحظنا أن اللوحات المعروضة رغم الحجم الصغير، فهي لوحات مكتملة العناصر وبعضها عالج نفس الموضوعات التي تعالجها اللوحات الكبيرة، طبعاً، ربما يكون من المخيّب للآمال أن تكون دوافع الفنانين للشغل على مثل هذه اللوحات فقط دوافع مادية تتعلّق بسهولة تسويقها، لأن أسعارها عادةً أقل من أسعار اللوحات الكبيرة، وبالتالي يمكن أن تجد مساحةً أوسع من الراغبين في اقتنائها.

بعض الفنانين أجاب على تساؤلاتنا بالقول: اللوحة الصغيرة تتناسب مع حيز الفراغ المحدود في بيوتنا الحديثة، التي لايتوفر فيها مساحات كبيرة.



استمرار تواجد الحشود العسكرية في الخليج

تهديد لأمن المنطقة

بعد محاولات جادة ومدروسة، وتحركات مكثفة داخلياً وخارجياً، سعت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا لشن عدوان عسكري جديد وواسع النطاق على العراق، بهدف تدمير بنيته التحتية ومنشآته الإقتصادية وما تبقى له من قدرات عسكرية. وذلك لتحقيق أهداف استراتيجية بعيدة المدى للسيطرة على هذا البلد العربي الهام الذي يملك احتياطياً وثروة نفطية هائلة ترغب الولايات المتحدة ضمان وضع اليد عليها وإبقاءها تحت سيطرتها لسنوات طويلة قادمة. وليس هذا فحسب، بل جعل العراق مكسر عصا لتهديد الشعوب وارهاب كل من يواجه السياسة الأمريكية والإسرائيلية في الشرق الأوسط، ومحاولة إزاحة أية عقبات تقف في وجه الأطماع الإستعمارية للسيطرة على الوطن العربي. إن الحشود العسكرية الأمريكية والبريطانية في الخليج رسالة واضحة بأن على الجميع أن ينصاع بصورة كاملة للسيد الأمريكي وتصوراته لرسم خارطة المنطقة ودور اسرائيل المركزي فيها. لكن التحضيرات العدوانية وحشد القوات العسكرية لشن حرب جديدة، فشلت في تحقيق أغراضها بسبب عقبات جادة وممانعة واضحة برزت على المستوى الدولي والعربي رسمياً وشعبياً.

فعلى المستوى الدولي عارضت روسيا وفرنسا والصين والغالبية الساحقة لدول العالم توجيه ضربة عسكرية للعراق، وأعلنت بوضوح ضرورة السعي لإيجاد حل سياسي للأزمة. ولم تستطع الولايات المتحدة رغم جهودها وتحركها الحثيث وزيارة مبعوثيها أن تحشد التأييد لمغامرتها العسكرية، فظهرت في حالة من العزلة التي أفقدتها الغطاء الدولي المناسب وخاصة من مؤسسات الأمم المتحدة. وهنا ينبغي الإشارة إلى الدور الروسي الفاعل والمميز الذي أعلن منذ بدء الأزمة معارضته الحازمة لعمل عسكري، وسعى بكل جهوده وعلى أعلى المستويات لإيجاد حل سياسي. وكان من اللافت للنظر بقاء نائب وزير الخارجية الروسي لأكثر من شهر في العاصمة العراقية لمتابعة الموقف ومنع العدوان. ولاشك أن هذا التحرك يستحق كل التقدير، ولايمكن التقليل من أهميته وتأثيره ومدى الصدى الإيجابي الذي تركه في عموم المنطقة حيث يمكن لهذا الموقف أن يشكل مؤشرات هامة لبداية عودة جادة لدور أكثر فاعلية وزخماً افتقدته روسيا خلال السنوات الماضية التي أعقبت انهيار الإتحاد السوفيتي السابق. وعلى المستوى العربي، عارضت الدول العربية، بما في ذلك غالبية دول الخليج اللجوء للخيار العسكري. لكن الموقف العربي الرسمي ورغم إعلانه رفض توجيه ضربة عسكرية للعراق، كان ينبغي أن يكون أكثر فاعلية وتأثيراً في مجريات الأحداث، وكان يتطلب عقد قمة عربية عاجلة لمواجهة المخاطر الجسيمة التي فرضتها التطورات.

لقد فوجئت الإدارة الأمريكية وبريطانيا. بحجم التحركات الشعبية المناهضة لسياسة الحرب والعدوان، والتي كانت مهيأة للمزيد من التصاعد والنمو على المستوين العربي والعالمي.

هذا الوضع، مرتبط بموقف العراق والذي تجاوب مع مقترحات وجهود كوفي عنان أدى إلى النجاح في توقيع اتفاق بين الحكومة العراقية والأمم المتحدة، مما فوت الفرصة علىالولايات المتحدة في تحقيق غرضها بشن العدوان.

وعلى الرغم من توقيع الإتفاق، فإن الإدارة الأمريكية لازالت تدق طبول الحرب وتسعى جاهدة لإستثمار أية فرصة أخرى لتحقيق أهدافها. وهذا ما يفسر استمرار تواجد أساطيلها وطائراتها وترسانتها العسكرية الضخمة في منطقة الخليج، وإعلانها بكل وضوح أنها لن تسحب هذه القوات في المدى المنظور.

إن تصريحات مسؤوليها المتكررة والإستفزازية بأن أي خرق للإتفاق الموقع مع الأمم المتحدة سيتيح الفرصة لها لتوجيه ضربة عسكرية تلقائية دون العودة لمجلس الأمن يدلّل على حجم النوايا العدوانية المبيتة تجاه العراق والأمةالعربية.

وعليه فإن احتمالات العدوان لازالت قائمة ومستمرة. ولذلك فإن المطلوب القيام بأوسع تحرك لجلاء القوات العسكرية ورحيلها من الجزيرة العربية.

بعد تعثر توجيه الضربةالعسكرية، والعزلة التي واجهتها السياسةالأمريكية والبريطانية، تحاول إدارة كلينتون وطوني بلير العمل على تضليل وخداع الرأي العام العربي والعالمي، من خلال الحديث عن تحركات ومقترحات لتحريك ودفع ما يسمى بعجلة السلام في الشرق الأوسط. وذلك كنوع من التغطية على الإفتضاح الصارخ لسياسة المعايير المزدوجة في تطبيق قرارات الشرعيةالدولية. ومن جانبها فإن اسرائيل تسعى هي الأخرى لإشاعة مناخات كاذبة من خلال جولات نتنياهو الأوربية وتصريحاته المخادعة حول السلام في الوقت الذي تقوم فيه قوات الإحتلال باقتراف جريمة جديدة في منطقة الخليل ذهب ضحيتها ثلاثة من المواطنين الفلسطينيين وعدد آخر من الجرحى مما يدلل على سياسة الإرهاب المنظم التي تمارسها العصابات الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني. إن المطلوب اليوم من جميع العرب اخراج القوات العسكرية الأمريكية ـ البريطانية من منطقة الخليج قبل أن تقوم بزرع القتل والدمار للهيمنة على الأمة العربية.

«الهدف» ١٥ اذار ١٩٩٨ - العدد ١٢٧٧
السنة الثامنة والعشرون - الثمن ٢٠ ل.س/ ١٠٠٠ ل.ل
AL - HADAF - No. 1277 - 15/3/1998

الهدف AL-HADAF

سياسية عربية ـ تصدر مؤقتاً كل أسبوعين



المشرف العام
د. ماهـر الطاهـر
رئيس التحرير
نصـار ابراهيـم
سكرتير التحرير
خليـل جنداوي
مدير الادارة
محمد خير الاسعد
المدير الفني
زهـدي العـدوي

ثمن النسخة

لبنان ١٠٠٠ ل.ل/ سوريا ٢٠ ل.س/ الارين ٥٠٠ فلساً/ العراق ١٠ د ع/ الإمارت ١٠ درهماً/ الجزائر ١٥ ديناراً/ ليبيا دينار واحد/ تونس ١.٢٥ د.ت/ صنعاء ١٥ ريالاً/ السودان ٦ جنيهات/ المغرب ١١ درهماً/ أمريكا وكندا ٣ دولار/ ألمانيا ٥ ماركات/ اسبانيا ٣٠٠ بيزيته

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي بما فيها اجور البريد
سوريا ٦٠٠ ل.س/ لبنان والأردن ٣٠ دولاراً/ بقية الدول العربية ٥٠ دولاراً/ اوروبا ١٢٥ دولاراً/ آسيا وافريقيا ١٠٠ دولاراً/ الامريكتين. واستراليا ١٥٠ دولاراً

☆ يتم الاشتراك بارسال اشعار الايداع بقيمة الاشتراك السنوي (او نصف السنوي) على العنوان التالي بنك بيروت والبلاد العربية
شتورا ـ لبنان
رقم الحساب AC NO 22004
☆ او بارسال شيك بنكي باسم الهدف، دمشق/ ص ب ٣٠١٩٢

المكاتب

المقر الرئيسي دمشق - مخيم اليرموك
هاتف ٦٣٢٨٢٦٧
٦٣١٩٣٧٤
فاكس ٦٣٢٥٤٨٦
٣٣٢٩٣٢٦
ص ب دمشق - ٣٠١٩٢
عمان ٦٩٦٣٤٠
الجزائر ٥٩٤٥٤٨
٣٨٤٣٠٤
بغداد ٧١٩١٦٢٢
٧١٧٤٧١٠

كلمة

يشكو الزملاء في القسم الثقافي عادة مما يصفونه بـ «طغيان» القسم السياسي. ويقولون بحرقة وألم أن «حيط القسم الثقافي واطي» بحيث تستسهل هيئة التحرير في حال حصول طارئ سياسي «قضم» بضع صفحات ثقافية دون «إحم أو دستور».

في هذا العدد انقلبت الصورة رأساً على عقب... فأخذ القسم الثقافي بثأره... وأي ثأر... فقد جاء الزملاء هذه المرة وهم مستقوون بشخصية الروائي العربي الكبير عبد الرحمن منيف واجتاحوا القسم السياسي فجردوه ببساطة من ست صفحات كاملة عداً ونقداً...

طبعاً كلامنا هذا لايعني أنه لم تكن هناك أحداث سياسية كبيرة تستحق المعالجة، وللامانة نقول أننا اضطررنا لتأجيل بعض المواضيع المهمة أو حتى القفز عنها... «فالهدف» والتي تابعت باهتمام مع كل المثقفين العرب خبر حصول عبد الرحمن منيف على جائزة المؤتمر الأول للإبداع الروائي العربي الذي ختم أعماله في القاهرة مؤخراً، لم تستطع إلا أن تعطي الموضوع حقه وتفتح محوراً عن أعماله، فالخبر حدث بحد ذاته... حتى لو تجاهلنا العلاقة القوية التي تربط مجلتنا بالأستاذ عبد الرحمن منذ زمن بعيد...

في الختام يجب أن ننوه إلى أمر هام... فقبل أيام احتفل العالم باليوم العالمي للتضامن مع المرأة... بهذه المناسبة نتقدم بالتهنئة لكل رفيقاتنا وكل نساء فلسطين وأمتنا العربية... بل وكل نساء العالم... ونقول: كل عام وأنتن بخير...



موضوع الغلاف:
العراق والحرب بوسائل اخرى
الحصار: نفط.. ديمونة وأمور اخرى
صفحة ٦

في هذا العدد

شؤون فلسطينية

شؤون عربية

شؤون العدو

شؤون دولية

الهدف الثقافي

مرايا هذا الزمان

- نضار ابراهيم -

أنا لا أكذب!

رحل شهر شباط وتلاشى مواء القطط، وأقبل الربيع فتفتح الحنون وقدّح المشمش واللوز، والأهم أزهار الأقاح التي ربما أجد عندها الإجابات عن عشرات الأسئلة التي عجزت السياسة عن حلها.

جلست أتدفأ وأنفش ريشي تحت أشعة الشمس. تناولت زهرة أقحوان ورحت أنزع بتلاتها بتلذذ:

بتحبني - ما بتحبني - بتحبني - ما بتحبني!

قلت: إللي ما إلو حظ... لأطرق أبواباً أخرى لعل وعسى.

قطفت زهرة ثانية وثالثة وعاشرة. طرحت كل ما يؤرقني من اسئلة: ضرب العراق، رفع الحصار، إعادة الإنتشار، القرار ٤٢٥، العودة، حرية سفر الفلسطيني من نجد إلى تطوان، الدولة المستقلة، القدس، تفكيك المستوطنات، تجديد جواز السفر بدون استدعاء، الوحدة العربية، والأوروبية، القمة العربية، عودة الإتحاد السوفيتي...

حصدت كل ما وصلت إليه يدي ورجلي من أقحوان، غمرني الإرتياح وسرحت في السماء الزرقاء ورحت أحلم.

ما اوسع عالمنا العربي، ما أجمله، ٢٥٠ مليون عربي في عين كلينتون ونتنياهو وبلير.

سحابة سوداء تمر راكضة: ٩٠ مليار دولار الناتج القومي الإسرائيلي، من أين لهم هذا؟ وليس عندهم لانفط ولا خيل.

عندنا بحار من النفط، وعندما تسأل أحدهم عن الحال يقول: زفت.

٣,٢ ترليون دولار لإعادة إعمار العراق، والسيد بتلر مستاء لإستخدام الكلور في تعقيم المياه، ويصر على منح جابر بن حيان تأشيرة للهجرة إلى أمريكا.

٢٠٠ رأس نووي في ديمونا، وتركيا تغرقنا بزيت «الأونا» و «الدونا» فتحالفت «الأونا والديمونا».

حاملة الطائرات «نيمتس» تعبر قناة السويس فهي عصفور يعشق الشرق كما تقول.

تنسحب السحابة السوداء وتسطع الشمس من الشرق على الغرب. العالم كله مشغول بنا فماذا نتمنى أكثر من هذا؟

استيقظ القرد الأبدي الراقد في داخلي، تعربشت شجرة تعلقت بأقدامي وتركت جسدي يتأرجح مقلوباً.. أصبح العالم مقلوباً.

ليست الصورة مشوشة لهذا الحد، فلازال النيل ودجلة والفرات تواصل رحلتها الأزلية.

وكل يوم نكتشف لُقىً أثرية جديدة تحدّث بحضارات عظيمة.

المشكلة أنني لم اشك يوماً باننا أصحاب حضارة ومن عندنا انطلق أسلاف الإنسان الأول نحو الشرق وصولاً لأستراليا، ونحو الغرب وصولاً لأرض العالم الجديد.

مايشغلني موقعنا على خارطة الحضارة المعاصرة هذه الأيام، ويقلقني أيضاً اكتشاف الماء على سطح القمر، وأنا لازلت أترنم: «حبيبي بدو القمر والقمر بعيد...» وصولاً إلى «وتسرقه جارتنا». وماذا بعد؟

السلطان بخير، إذن الوضع بخير.

صحيح ان الشعب لايستطيع أن يخرج في مظاهرة ليشتم أمريكا وإسرائيل والإقتصاد والسياسة والتعاسة، لكنه بخير ولايتردد الرجل منا في طعن الآخر حتى الموت لأنه قال صباح الخير لجارته، فالكرامة فوق كل اعتبار.

نعم، إننا بخير ونطلق النار في الأعراس والأحزان وعلى طوابير الخبز، وماذا بعد؟

لاشيء، المهم أن يكون السلطان بخير، ويحافظ على كرامة الوطن والمواطن وأن يشتري آخر صرعات السلاح لتبقى الجيوش درع الأمة، وآخر صرعات الموضة لنواكب الدعارة كشرط للحضارة، وآخر ابتكارات التنصت وانتزاع الإعترافات من الحمير بأنها أرانب، فأمن الوطن أولاً حتى لو لم تبق ذرة أمن لأي مواطن، فليس الخطر أبداً من الأواكس أو طائرات U2 أو من رجال الموساد.

وإسرائيل يليق بها النووي والكيماوي والجرثومي وخمسون مجزرة مثل قانا.

قرأ صاحبي هذه «المرايا» وسأل بشك وغيظ:

- لماذا تكذب؟!

قلت: أنا لا أكذب وإنما فقط أحتفظ بالحقيقة لنفسي.

الحدث

العراق والحرب

بوسائل أخرى:

صحيح أن أمريكا لم تطلق النار، ولكن بقي إصبعها على الزناد فيما مأساة الشعب العراقي مستمرة سبع سنوات عجاف ولا بارقة أمل. اطفال العراق يذبلون أمام أنظارنا وأنظار العالم كالورود، ولاتتعدى ردود أفعالنا دائرة النار التي رسمتها أمريكا حول العراق. يبيع العراقي أثاث بيته ليستمر، ليعيش، فيما بعض العرب يفتحون خزائن أموالهم لتغطية نفقات الحشود العسكرية الأمريكية التي تعربد فوق مياهنا ورمالنا ونفطنا وكرامتنا.

الحصار: نفط... ديمونة وأمور أخرى!

نصار ابراهيم

الإتفاق الذي وقع بين كوفي أنان والقيادة العراقية حال دون المجزرة التي كانت تعد لها أمريكا وحلفاؤها ضد العراق شعباً وأرضاً وتاريخاً، ولكنه لم يدفع الخطر بعيداً، فالكابوي الأمريكي وتابعه البريطاني يقفان مدججين بالصواريخ والطائرات في حالة تأهب قصوى والإصبع على الزناد.

الكثيرون تنفسوا الصعداء بعد توقيع الإتفاق، ونحن منهم، ومع ذلك نقول لا تذهبوا في التفاؤل بعيداً، حتى لاتنقطع بكم السبل. لانقول هذا من باب التشاؤم الجهول، وإنما بسبب معرفتنا وتلمسنا المباشر للقوانين والمعادلات التي تدير بها أمريكا سياساتها في الشرق الأوسط.

وفوق هذا وذاك تجاربنا التي لاتكاد تنتهي مع الإدارات الأمريكية وحلفائها الكبار والصغار، من يقيم منهم وراء المحيطات أو بين ظهرانينا.

باختصار، المواجهة لم تنته، فهي لاتزال مفتوحة على كل الإحتمالات، بما فيها رعد الصحراء وبرقها وتيهها.

هذه الحقيقة ليست نتيجة الشطط والإنفعال، وإنما نتيجة رؤيتنا لسيل الحقائق التي تغذيها والتي تشير لكل ذي بصر وبصيرة بأن ما تريده أمريكا من وراء جيوشها وأساطيلها وطبول الحرب التي تواصل قرعها أبعد من العراق بكثير.

أمريكا لم تطلق النار هذه المرّة، ولكنها ستبقي الجميع واقفين على رؤوس أصابعهم. وهي قادرة على افتعال أي ذريعة لتعيد المنطقة برمتها إلى الخيار «صفر». ولكن لماذا؟ وهل المشكلة تكمن في العراق حقيقة أم أن المشكلة في الجوهر هي مشكلة أمريكا مع ذاتها ومع سياساتها؟

لو انطلقنا من العراق لوجدنا أنفسنا بعد سبع سنوات من الحصار والتدمير المادي والمعنوي الذي يشارك فيه الأقربون كما الأبعدون أمام حقائق واضحة، حقائق قادرة على إقناع أي إنسان عاقل بأن العراق ليس هو الخطر الداهم في المنطقة، لا على صعيد الطموحات ولا على صعيد الأسلحة بأنواعها النووية، الكيماوية والبيولوجية.

فمشكلة الكويت مع العراق هي في كل الأحوال مشكلة طارئة، وما كان لها أن تأخذ هذه الأبعاد الكارثية لو تم التعامل معها منذ البداية. بروح عربية قومية. وما كان لها أن تصل إلى ما وصلت إليه اولا التغذية المستمرة والمبالغة المتواصلة التي قادتها وأدارتها أمريكا لتحول مجرى الصراع في المنطقة بكامله.

وقبل ذلك كانت الحرب العراقية - الإيرانية، فرغم مآسيها ومراراتها إلا أنها أيضاً مؤقتة وطارئة ومحدودة، وبقليل من النزاهة والصدق لن يبقى لذيولها أية آثار خلال عقد أو عقدين من الزمن.

الكل مشغول هذه الأيام بالعراق، والخليج، حتى وصل الأمر إلى لحظة بدأ البعض معها يتحدث عن حرب عالمية ثالثة.

أمريكا التي تدير مواجهتها مع العراق منذ سبع سنوات بكل غطرسة ووقاحة تحت عنوان الدفاع عن السلام والأمن العالمي تضع العالم أجمع أمام خيار حرب عالمية. هل هذا معقول!؟

نعم معقول وأكثر من معقول. لأن أمريكا ودفاعاً عن مصالحها وسياساتها مستعدة لإشعال عشرين حرباً. ومستعدة لأن تقف هي وبريطانيا واسرائيل في جهة وكل العالم في الجهة المقابلة وأن تشعل حرباً بإسم السلام العالمي، الذي بات رديفاً لمفهوم سلام القوّة الأمريكي، عطفاً على مفهوم النظام العالمي الجديد الذي يعني في السياسة والإقتصاد والممارسة الهيمنة الأمريكية، وعطفاً عليه أيضاً النظام الشرق أوسطي الجديد الذي يعني في السياسة والإقتصاد والممارسة الهيمنة

الإسرائيلية.

غريب ما يجري ومدهش إلى درجة الحزن، غريب هذا الإنكسار أمام عربدة القوّة.

فبعد الإتفاق الذي وقعه كوفي أنان مع القيادة العراقية، تهافتت ردود الفعل والتعليقات والتصريحات ومعظمها اتجه نحو العراق مطالباً ومشدداً، بأن عليه الإلتزام الدقيق والحرفي بنصوص الإتفاق، وبعضها راح يقدم الشكر لأمريكا بصورة مباشرة أو مضمرة، التي لولا حشودها العسكرية وموقفها الحاسم لما تم التوصل إلى ذلك الإتفاق.

هكذا تتواصل اللعبة، ولا أحد يطرح بصورة جدية مأساة الشعب العراقي الذي فرض عليه أن يستمر في الرضوخ لعربدة أمريكا دون ألم أو احتجاج.

سياسة وأهداف الولايات المتحدة تتخطى في الحقيقة جسد العراق المدمى والمحاصر لتقصف بعيداً أعماق الآمال والمصالح العربية القومية.

بهذا المعنى تتوسع دائرةالحصار لتشمل عموم الوطن العربي، والرسائل أكثر من واضحة. فليس هناك قوّة عربية أو دولية قادرة على الوقوف في وجه الكابوي الهائج الذي يدخل بيوتنا وهو يطلق النار يميناً وشمالاً.

يخطئ كثيراً من يعتقد أو يتوهم بأن أمريكا قد خرجت مهزومة من جولتها الأخيرة مع العراق. والخطأ ناتج في الأساس عن اعتقاد راسخ بأن هناك قراراً أمريكياً نهائياً بتوجيه الضربة العسكرية للعراق.

وما دامت لم تحصل فهذا معناه بأن أمريكا قد هزمت. بينما المنطق يذهب إلى ما هو أبعد من هذه المعادلة التبسيطية. الأمر الذي يذكرنا بمقولة تعلمناها يوماً وهي أن السياسة اقتصاد مكثف، والحرب سياسة بوسائل أخرى هكذا نصبح أمام ثالوث متكامل اقتصاد ـ سياسة ـ حرب تربطها علاقة دائرة وبالإتجاهين فالسياسات بنتائجها والنتائج ليس من الصعب قراءتها:

العراق يوافق على تفتيش القصور الرئاسية، والحصار مستمر والمعاناة تصل إلى الأعماق ولا آمال في الأفق القريب.

الحشود الأمريكية تتواصل، واللعب علىالنصوص مستمر، وبحر النفط العربي تحت رحمة الأساطيل، وثمن الحشد مدفوع عداً ونقداً.

والشرعية الدولية تركض لاهثة لارضاء شرعية القوّة الأمريكية، بل إنها دائماً ترضخ وتتماهى مع تلك الشرعية.

أما اسرائيل الحليف الأمريكي الإستراتيجي الأول والعاشر فمستمرة في سياساتها وعدوانها منذ نصف قرن ويزيد ضد الشعب الفلسطيني والأمة العربية، وتكدس الرؤوس النووية والجرثومية والكيماوية وتجرب الصواريخ العابرة كما تشاء وبرأسمال أمريكي. وكل قرارات الشرعية الدولية الخاصة بفلسطين ولبنان وسوريا تحت حذاء آخر مستوطن صهيوني وصل إلى أرض فلسطين.

أما ما يُسمى بالتسوية الأمريكية. فهي تسوية القوّة التي تجسدت ترجماتها في اتفاقات أوسلو التي ما إن استنفدت أغراضها اسرائيلياً حتى راح نتنياهو يقذف بأوراقها وبنودها في الهواء فيما يواصل ميدانياً زرع وتوسيع المستوطنات الصهيونية في الضفة والقطاع، وراح يطالب بالبدء في مفاوضات الحل النهائي، الذي يعني وفق ما تعلن اسرائيل على لسان رئيس وزرائها بأنه يمهد لتسوية دائمة مع الفلسطينيين، كل عناصرها متوفرة باستثناء موضوع القدس، وعودة الفلسطينيين، والمستوطنات الصهيونية، والدولة والسيادة وتقرير المصير، فهذه بديهيات وثوابت اسرائيلية.

والمطلوب: تسليم وموافقة فلسطينية بالتنازل عن كل هذه الثوابت هذا أولاً، وثانياً: اعلان حرب لاهوادة فيها ضد القوى المعارضة الفلسطينية، وثالثاً حشر المدن الفلسطينية ضمن نسيج العنكبوت الصهيوني وأولوياته الأمنية والتوراتية. ورابعاً أن يقبل الفلسطيني دور المطية للمصالح الإسرائيلية في حلّها وترحالها.

أما سوريا التي تقف عند مواقفها الوطنية والقومية فمنطق أمريكا يقول بأنها تلعب بالنار، الأمر الذي يعني ضرورة حصارها بالأحلاف العدوانية التي تجد تعبيرها في الحلف التركي ـ الإسرائيلي ـ الأمريكي، والتهديد بحرب المياه.

إذن الرسائل الأمريكية واضحة للجميع وأن ما تريده أمريكا هو المعيار الذي يجب التقيد به، وإلا فإن ما يجري مع العراق هو النموذج البديل في حال التمرد.

هذا ما يجب أن تفهمه السلطة الفلسطينية التي عليها أن تعي وتدرك بأن لاخيار أمامها سوى الحل الأمريكي ـ الإسرائيلي، وأيضاً سوريا ولبنان.

وهذا ما يجب أن تفهمه إيران وبالتالي عليها الحد من اندفاعتها، وهذا ما يجب أن تفهمه أوروبا التي عليها أن تدرك بأن تدفق النفط إليها مرهون بمدى استجابتها ومرونتها مع سياقات السياسة الأمريكية، وبالتالي غير مسموح لها أن تتخطى في سياساتها ومبادراتها وظيفة المكمل للمشاريع الأمريكية.

وهذا ما يجب أن تفهمه روسيا التي عليها أن تدرك واقع حالها الممزق وأن لاتذهب بعيداً في أحلامها بالعودة للمنطقة بعيداً عن المظلة الأمريكية. وهذا ما يجب أن تفهمه المؤسسات الدولية بدءاً من مجلس الأمن وصولاً للأمم المتحدة بكافة أطرها.

إذن على الجميع أن يتصرف على أساس أن هناك حقيقة واحدة في منطقة الشرق الأوسط وفي العالم وهي مصالح الحلف الأمريكي ـ الإسرائيلي، وبأن لاسياسة خارج منطق القوّة والهيمنة الامريكية.

ومن لايرضخ عبر الحوار سيرضخ بقوّة السلاح، ومن يتعذر استخدام السلاح ضده لأكثر من سبب واعتبار سيتم قصفه بواسطة صندوق النقد الدولي، وبنك النقد الدولي، ومعمعة سوهارتو ونمور شرق آسيا لم ينقشع غبارها بعد.

هكذا نجد أن ما جرى في العراق وفق الرؤية والممارسة الأمريكية، هو وفق المأثور الشعبي «اضرب في البور حتى يفهم من في العمار».

وفي سياق المنطق ذاته فإن تدمير قدرات العراق يعني حماية مفاعل ديمونة الإسرائيلي. وتخطي الشرعية الدولية يعني أن لابديل عن شرعية القوّة الأمريكية.

أمام هذا الواقع المرّ أين نحن؟

أما آن لنا أن ندرك بأن الصمت أو اللامبالاة أو الشماتة تجاه ما يجري ضد شعب العراق هو صمت ولامبالاة وشماته تجاه ذاتنا وكرامتنا؟ وأن حصار العراق هو حصار للذات؟

قد يقول البعض وماذا بإمكاننا أن نفعل؟

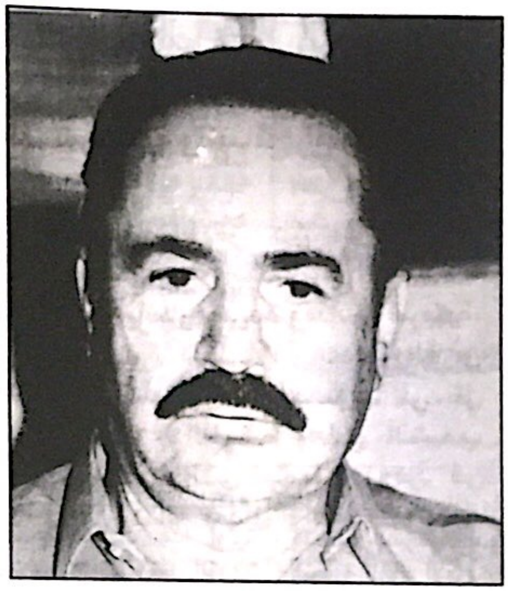
الجواب واضح فقط يحتاج لقدر طبيعي من الجرأة والكرامة القومية. رفض الإنصياع للإملاءات الأمريكية ورفض جيوشها، ومادامت إسرائيل ترفض الرضوخ لقرارات الشرعية الدولية فمن العار أن يستمر حصار العراق بحجة احترامنا لتلك الشرعية، فالشرعية في النهاية كل متكامل نصوصاً ومنطقاً وممارسة.

فليس من حق أمريكا أن تغزونا وتحاصرنا في عقر دارنا بإسم الشرعية الدولية، وتبارك وتحمي كل ما تقوم به اسرائيل من احتقار لذات الشرعية.

والخلاصة تعيدنا إلى ثالوث الإقتصاد ـ السياسة ـ الحرب، حيث سيتحول قرار مجلس الأمن الأخير الذي أقر بالإجماع الإتفاق بين كوفي أنان والعراق إلى هزيمة مرّة بامتياز للعراق وللعرب إذا لم يسفر في النهاية عن رفع الحصار بالكامل عن العراق، وإذا لم تسحب أمريكا أساطيلها من مياهنا، ولم تمارس الشرعية الدولية هيبتها ضد إسرائيل ■■

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تتضامن مع العراق

وفد مركزي برئاسة الرفيق أبو علي مصطفى يزور بغداد



الرفيق أبو علي مصطفى



الرفيق طه ياسين رمضان

في الفترة ما بين ٢٣-٢٨ شباط ١٩٩٨، قام وفد مركزي برئاسة الرفيق أبو علي مصطفى نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بزيارة إلى بغداد استمرت بضعة أيام أجرى خلالها محادثات مع بعض كبار المسؤولين العراقيين. وقد ضم الوفد في عضويته أبو أحمد فؤاد عضو المكتب السياسي ومسؤول دائرة العلاقات السياسية، وعز الدين محمد ممثل الجبهة الشعبية في العراق.

إلتقى الوفد يوم ١٩٩٨/٢/٢٥ السيد طه ياسين رمضان نائب رئيس الجمهورية العراقية، حيث جرى بحث وتناول الأزمة المفتعلة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وتهديدها بالعدوان على العراق وحشد أساطيلها وقواتها العسكرية في منطقة الخليج.

وقد أكد الرفيق أبو علي مصطفى خلال المحادثات تضامن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والشعب الفلسطيني مع العراق لمواجهة الأخطار المحدقة المحيطة به، وأكد حرصه على وحدته أرضاً وشعباً وسيادة. وعبر الوفد عن ارتياحه وتقديره لتوقيع الإتفاق بين الحكومة العراقية والأمين العام للأمم المتحدة، هذا الإتفاق الذي فوت الفرصة على الحلف الأميركي - البريطاني - الإسرائيلي توجيه ضربة عسكرية للعراق وشن عدوان جديد يستهدف بنيانه وتمزيق وحدته.

كما أكد الوفد أن رفع الحصار الظالم عن العراق والمستمر منذ أكثر من سبع سنوات ينبغي أن يشكل مهمة وطنية وقومية بالنسبة لكافة قوى وفصائل حركة التحرر العربية وقواها الشعبية. كما أشار الوفد إلى ضرورة التنبه واليقظة من استمرار المحاولات الأميركية والبريطانية التهيئة للعدوان رغم توقيع الإتفاق مع الأمم المتحدة.

ومن جانبه ثمن السيد طه ياسين رمضان عالياً موقف الشعب الفلسطيني وقواه الوطنية، والذي بدأ شرارة الحركة الشعبية المناوئة للعدوان بوفائه لتضحيات شعب العراق من أجل فلسطين. وأكد أن القيادة العراقية سعت لإسقاط الذرائع العدوانية الأميركية، وأخذ الدور من الولايات المتحدة لصالح الأمم المتحدة وأشار إلى أن الإدارة الأميركية وبريطانيا كانتا تراهنان على عدم إمكانية التوصل لإتفاق مع الأمين العام للأمم المتحدة لتبرير عدوانهما، بما يستهدف العراق والأمة العربية. كما عبر السيد طه ياسين رمضان عن ارتياح العراق لتحرك وتضامن الشارع العربي ويقظته في التصدي لمحاولات العدوان.

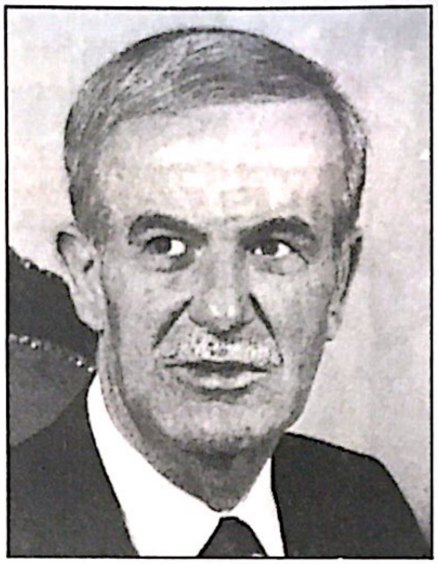
وأكد على يقظة العراق وإدراكه أن محاولات العدوان لازالت قائمة، رغم التراجع الذي حصل بسبب انتكاسة السياسة الأميركية وافتضاح أهدافها، إلا أنها لم تتراجع عن المهمة التي كانت تعد لها. والإتفاق أسقط الذرائع إلا أنه لم يسقط الهدف المطلوب تحقيقه لغرض أبعد من العراق.

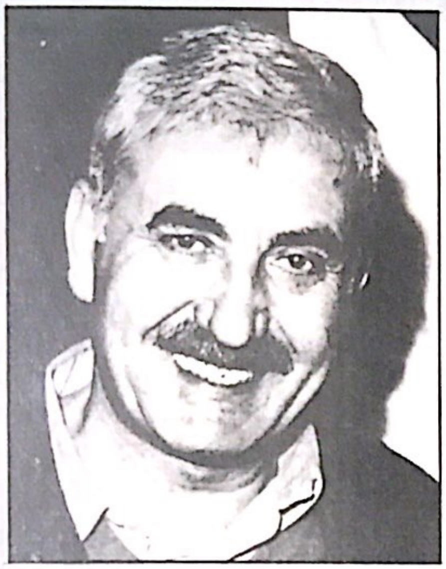
كما عبر السيد نائب رئيس الجمهورية عن ارتياح العراق للموقف العربي والدولي وخاصة موقف روسيا والصين وفرنسا مؤكداً على ضرورة تطوير الموقف العربي الرسمي في فك الحصار عن العراق.

كما أجرى الوفد لقاءات أخرى شملت إجراء محادثات مع السيد عبد الغني عبد الغفور أمين سر الجبهة الوطنية، مسؤول مكتب فلسطين وعضو القيادة القطرية والسيد مدير مكتب حركات التحرر في العراق.

وقد تناولت المحادثات الأوضاع على الساحة الفلسطينية، وأهمية توطيد الجهود وتوحيد القوى لمواجهة الإحتلال، واستمرار الدعوة من أجل حوار وطني شامل يقوم على مراجعة السياسة التي أدت إلى اتفاقات مرفوضة ولاتلبي الحدود الدنيا من الحقوق الفلسطينية.

د. حبش يهنئ الرئيس حافظ الأسد بمناسبة ذكرى ثورة ٨ آذار





الأخ المناضل / حافظ الأسد المحترم

الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي.

رئيس الجمهورية العربية السورية.

تحية العروبة وبعد.

بمناسبة ثورة الثامن من آذار المجيدة، أتقدم منكم مهنئاً بإسم اللجنة المركزية العامة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وبإسم كوادرها وأعضائها وجماهيرها في الوطن والشتات، وبإسمي شخصياً، متمنياً لكم شخصياً وللشعب العربي السوري الشقيق كل تقدم وإزدهار.

الرئيس المناضل..

إن الذكرى الخامسة والثلاثين لثورة آذار المجيدة، تعيد للاذهان، ما مثلته وتمثله ثورة آذار لعام ١٩٦٣م، من دور هام ورئيسي في تاريخ ونضال الشعب السوري الشقيق... إن ثورة آذار غرست عميقاً في سوريا الشقيقة قيماً ومبادىء نبيلة في مواجهة الرجعية والإنفصال والتمزق، إنها زرعت قيم الوحدة العربية، وقيم الإعتزاز بالأمة العربية وتاريخها وحضارتها ونضالاتها ورسالاتها والتي تسجل بحروف من نور في سفر الشعوب والحضارات الإنسانية جمعاء.

أخي الرئيس.. إن ثقتنا كبيرة واعتزازنا عظيم بالمواقف القومية والمبدئية الصادقة والتي عبرت عن نفسها بأبهى صور في المواقف المشرفة لسوريا من نهج التسوية الراهن، والذي يحاول أن يفرض على الأمة العربية سلام الإذعان ويُصفي حقوق شعبنا العربي الفلسطيني في وطنه، ان مواقف سوريا العربية محط إحترام وتقدير كبيرين في ظل قيادتكم الحكيمة.

أخي الرئيس المناضل حافظ الأسد نهنئكم مرة أخرى، وأتمنى لكم شخصياً دوام الصحة كما وأتمنى للشعب العربي السوري الشقيق الرفعة والتقدم.

أخوكم / د. جورج حبش

الأمين العام

للجبهة الشعبية

لتحرير فلسطين

ويهنئ الأخ بوعلام بن حمودة

الأخ المناضل بو علام بن حمودة المحترم

الأمين العام لجبهة التحرير الجزائرية

تحية عربية وبعد.

يسرني أن أبرق لكم بإسم اللجنة المركزية العامة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وبإسم كوادرها وأعضائها وجماهيرها في الوطن والشتات، وبإسمي شخصياً، مهنئاً بإعادة انتخابكم أميناً عاماً لحزب جبهة التحرير الجزائرية الشقيق، متمنياً لكم ولكل أعضاء وكوادر وقيادة جبهة التحرير الجزائرية، كل تقدم وإزدهار.

أخي المناضل / بوعلام حمودة..

تابعنا بإهتمام بالغ أعمال مؤتمركم السابع ونهنئكم بنجاح أعماله، راجياً لكم وللشعب الجزائري الشقيق التقدم والاستقرار والديمقراطية وصولاً لأهدافكم في وطن مستقر ومعافى من كل المظاهر السلبية التي تستنزف الجزائر الشقيق وطناً وشعباً وإمكانيات.

أخي المناضل.. اننا في الجبهة الشعبية نقدر لكم مواقفكم الداعمة والمساندة لنضال شعبنا الفلسطيني. ونتمنى تطوير العلاقات الأخوية بين حزبينا حزب جبهة التحرير الجزائرية والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وبما يخدم القضايا العادلة لأمتنا العربية.

أخوكم / د. جورج حبش

١٩٩٨/٣/٧م

زيارة مقبرة الشهداء



في ذكرى يوم الشهيد وإكراماً للشهداء أكرم من في الدنيا وأنبل بني البشر، قام وفد من قيادة وكوادر وأعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، على رأسه الرفيق أبو علي مصطفى نائب الأمين العام للجبهة في صباح يوم ٣/٩ بزيارة لمقبرة الشهداء حيث وضع اكليلاً من الزهور على ضريح الفدائي المجهول.

الرفيق جورج حبش يبرق معزياً بوفاة القائد الكبير انعام رعد

الرفاق الأعزاء في الحزب السوري القومي الاجتماعي المحترمون.

تحية رفاقية وبعد،

بحزن شديد، وأسى عميق، تلقينا نبأ وفاة القائد الكبير الرفيق / انعام رعد رئيس الحزب، الذي خبرناه رجلاً صلباً، يتقد فكراً وإصراراً، يشع بالأمل والحلم، واعداً بوطن العدالة والتقدم والمستقبل. نفتقد معاً رجل عقيدة ورؤية ثاقبة، تعي طبيعة الصراع في زمن مازال جسد الأمة ينزف في أكثر من موضع وفي القلب منه فلسطين. الممانعة بأشكالها المتعددة مستمرة ومتواصلة على امتداد ساحة الصراع المستمر باستمرار أسبابه.

فمنذ اتفاقات «سايكس - بيكو» أدرك رواد الفكر القومي، مبكراً، والذي كان الفقيد واحداً من امتداداتهم، فقد أدرك بشكل عميق خطر المشروع الصهيوني - الاستئصالي وأدرك أن الصراع هو صراع وجود وأن بين طرفيه علاقة تقوم على قاعدة النفي والنفي المضاد. مؤمناً أن أهمية الفكر والمعرفة وتفعيل مكونات القوة لدينا والوعي للواقع والذات والعدو والتمسك بالإرادة والوحدة والحلم وعزة الأمة هي شروط لازمة للخروج من أزماتنا، ومقدمات ضرورية لتحقيق أهداف أمتنا.

لقد دأب طوال حياته، بالجهد والمثابرة في العمل، على صياغة المشروع القومي الجامع لاستنهاض روح الأمة وحشد طاقاتها، حتى وافته المنية. فأودع الفكرة النبيلة والحلم الجميل إلى جيل من حزبه ورفاقه وأبناء أمته. فإن غياب إنعام رعد الجسد سيبقى حاضر الروح والتجربة والحلم.

فباسمي وباسم اللجنة المركزية العامة وكوادر ومناضلي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وباسم أبناء الشعب العربي الفلسطيني، نتقدم إليكم وإلى عموم أعضاء حزبكم بأحر التعازي الرفاقية.

لذكراه الخلود ولرفاقه الصبر، ومنا الوفاء والنصر لنا.

د. جورج حبش
١٩٩٨/٣/٥

ويبرق معزياً للرفيق يوسف فيصل

الرفيق يوسف فيصل المحترم
الأمين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري

تحية رفاقية وبعد،

تلقينا بحزن بالغ واسى، نبأ وفاة قرينتكم الموقرة «أم خلدون».

فباسم اللجنةالمركزية العامة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وباسم كوادرها وأعضائها وجماهيرها في الوطن والشتات وباسمي شخصياً نتقدم منكم وعبركم للأسرة الكريمة بأحر التعازي القلبية.

لا أراكم الله مكروهاً بعزيز، وليتغمدها الله في فسيح جنانه.

د. جورج حبش
١٩٩٨/٢/٢٣

بيان صادر عن اللجنة الشعبية العامة بخصوص قرار محكمة العدل الدولية



اصدرت اللجنة الشعبية العامة للإتصال الخارجي والتعاون الدولي بياناً حول حكم محكمة العدل الدولية المتعلق بالعقوبات المفروضة على ليبيا وهذا نصه:

أصدرت أمس محكمة العدل الدولية التابعة للأمم المتحدة حكمها في القضية التي رفعتها أمامها الجماهيرية العظمى حيث قضت المحكمة باختصاصها وفقاً لاتفاقية /مونتريال/ وأحكام القانون الدولي وهي بذلك ترفض الدفوعات والإدعاءات الأميركية والبريطانية التي تقول بعدم اختصاص المحكمة.

وبذلك أكدت المحكمة بأن مطالب ليبيا ضد الولايات المتحدة الأميركية والملكة المتحدة مشروعة وفق القانون الدولي وفي المقابل رفض مطالب المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية التي لاتستند إلى أي أساس قانوني.

وعليه فإن...

صدور حكم محكمة العدل الدولية يفضح أمام المجتمع الدولي بطلان قرارات أمريكا وبريطانيا التي فرضت على ليبيا بشان قضية لوكربي من وجهة نظر القانون الدولي الذي حكمت على اساسه محكمة العدل الدولية.

وبالتالي فإن العقوبات الجائرة واللا انسانية التي عانى منها الشعب العربي الليبي باطلة ولاغية وأن حكم المحكمة يفضح افتراء الدولتين أمريكا وبريطانيا على الشرعية الدولية واستهتارهما بميثاق الأمم المتحدة وبحق محكمة العدل الدولية التي هي جزء لايتجزأ منه ويظهر سلامة السياسة الليبية الرشيدة والمسؤولة التي تستند على القانون والمنطق مما يزيد من تقدير العالم لليبيا ويدفعه إلى الإستمرار في تأييدها لمواجهة سياسات الطغيان والإرهاب الرسمي التي صارت تمارس ليس على ليبيا فقط وإنما على الأمم المتحدة ذاتها وأنه من المستهجن دولياً وقانونياً ومنطقياً صوت القاضي الأميركي الذي برهن على أنه سياسي وليس قاضياً.

إننا لنأمل أن يكون هذا الحكم نهاية لسياسة الإرهاب الرسمي وحدّاً فاصلاً لخرق ميثاق الأمم المتحدة والإستهتار بالقانون الدولي وإنتهاك سيادة الأمم واختياراتها والاستخفاف بمحكمة العدل الدولية التي هي الإدارة القضائية الرئيسية للأمم المتحدة وكذلك الإستهتار بالجمعية العامة.

إن ليبيا تنتظر من دول العالم خاصة أعضاء المنظمات الإقليمية التي تؤيد ليبيا أن تسقط أي التزام بتنفيذ قرارات الحظر والعقوبات التي ثبت اليوم بحكم محكمة العدل الدولية بطلانها.

انعام رعد في ذمة الخلود

شيّع لبنان رئيس الحزب السوري القومي الاجتماعي «المجلس الأعلى» المناضل انعام رعد إلى مثواه الأخير، وبذلك فقد فقدت القوى الوطنية والديمقراطية ومناوئو العنصرية والصهيونية والتطبيع في لبنان والوطن العربي أحد أبرز فرسانها ورموزها، مناضلاً صلباً ومميزاً أفنى عمره في النضال دون أن تهون له عزيمة أو تضعف له همة، وباصرار على متابعة مسيرة العطاء والتضحية من أجل القضايا العربية وفي المقدمة منها القضية الفلسطينية.

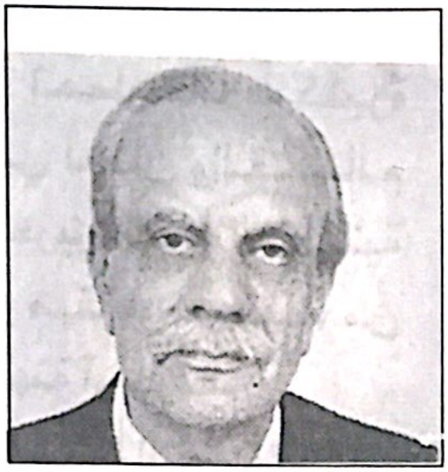
في احتفال للشعب الفلسطيني بذكرى يوم الأرض قال المناضل انعام رعد «ان كياناً صهيونياً يقوم على التمييز بالقانون ضد الشعب الفلسطيني وينفذ مجازر القتل الجماعي والاعتقال الجماعي والعقاب الجماعي، بتدمير عشرات ألوف المنازل يقدم فعلاً نموذجاً أخطر من المحرقة النازية، لأن تلك استمرت خمس سنوات، أما هذا فمستمر منذ حوالي نصف قرن دون هوادة».

لقد تصدى الأستاذ أنعام رعد للاختراقات الصهيونية في بعض جوانب الجبهة العربية ومحاولة البعض الهرولة للتطبيع مع الكيان الصهيوني، وقال في ٢٨ تشرين الثاني عام ١٩٩٠ في ذكرى تقسيم فلسطين «اننا حين نرفض التطبيع والنظام الشرق أوسطي، إنما نفعل ذلك وبشدة لأننا أصلاً نرفض المشروع الصهيوني ولا نعتبر كيانه دولة مجاورة ولأننا نعتبر الصهيونية عنصرية استيطانية وافدة، غازية، غاصبة، وكيانها حامل مشروعها، لذلك نرفض التطبيع مع الكيان الاستيطاني المتوسع، صاحب خطة الهيمنة على الأرض والموارد واستبدال الهوية والشخصية بالتبعية والإلغاء.

اننا نرفض النتائج، لأننا أصلاً رفضنا الأسباب والأصول لهذا المشروع الذي يبدل أساليبه ولكن جوهره وحقيقته هي هي».

المناضل انعام رعد كان باستمرار داعية إلى رصّ الصفوف العربية ونبذ الخلافات الجانبية ومن أقواله «ان حرب المصير لا تربح بالتشتت والتشرذم بل بالوحدة على مستوى المصير والقضية... ان الخروج من حبوس سايكس-بيكو هو الطريق الوحيد لمواجهة مشروع اسرائيل الكبرى».

لقد غادر انعام رعد وفي قلبه أمل بوحدة الحزب السوري القومي الاجتماعي، ومما ورد في وصيته بهذا الشأن قوله «حافظوا على النهضة ولن يكون ذلك بأن يكون جزءاً من أعمالكم اليومية بل أن يكون غرضها هو الأول ومطلبها هو المتقدم حتى على مطالب حياتكم لانها هي حياتكم».



ان أنظار المناضلين في الوطن العربي تتوجه إلى رفاق الفقيد بأن تكون هذه الوصية حافزاً لهم في اعادة الوحدة لصفوف حزبهم المناضل.

نبذة عن حياة الفقيد الكبير

- ولد أنعام رعد في ٨ شباط عام ١٩٢٩ في بلدة عين زحلتا الشوفيه، تزوج من ليلى رعد ولهما ثلاثة أولاد، عصام، آمال والهام.
- حاز على البكالوريس في العلوم السياسية في عام ١٩٤٩ من الجامعة الأمريكية في بيروت.
- انتسب إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي عام ١٩٤٤ وعمل في التدريس، وتفرغ للعمل الحزبي وأصبح عضواً في المجلس الأعلى للحزب منذ عام ١٩٥٤.
- تولى رئاسة تحرير صحيفتي «البناء» و«صباح الخير».
- نائب رئيس المجلس السياسي المركزي للحركة الوطنية اللبنانية ١٩٧٥-١٩٨٢ مثل الحزب في جبهة الخلاص الوطني ٨٣-١٩٨٤ وفي عضوية الجبهة الوطنية الديمقراطية ١٩٨٤-١٩٨٥.
- رئيس الحزب بين ١٩٧٥، ٧٧، ١٩٨٠-١٩٨٤، ١٩٩٢ وجدد انتخابه في أواخر آب ١٩٩٥
- أحد مؤسسي وقياديي اللجنة العربية لمكافحة الصهيونية والعنصرية وترأسها.

من مؤلفاته

- حرب التحرير القومية ١٩٧٠م.
- المنطلقات الفكرية الاستراتيجية الثورية ١٩٧٦م
- حرب الوجود لا حرب الحدود ١٩٧٩.
- انطوان سعادة والانعزاليون ١٩٨٠
- كامب ديفيد وملاحقه الأورووبية الأمريكية ١٩٨٠
- المواجهة القومية على الساحة اللبنانية ١٩٨٢
- المؤامرة في طورها الأخير ١٩٨٩
- الصهيونية الشرق أوسطية ١٩٩٧
- بالاضافة إلى المحاضرات التي ألقاها في جامعات هارفورد، جورج تاون، جامعة مليورن، وفي العديد من النوادي الفكرية.

د. جورج حبش يبرق معزياً لعقيلة المناضل الكبير انعام رعد

الأخت الغالية ليلى
أبناء الفقيد الدكتور عصام والأخوات إلهام وآمال
الأخ العزيز تيودور وكافة افراد الأسرة الكريمة

ببالغ الحزن والأسى وشعور عميق بالمرارة للخسارة الفادحة تلقينا نبأ وفاة رفيق الدرب والأخ والصديق والمناضل الكبير الأستاذ إنعام رعد فقد رحل عنا وهو في ذروة عطائه نفتقده اليوم ونحن في امس الحاجة له ولأمثاله من الرجال الكبار الذين وهبوا حياتهم لقضايا شعبهم وأمتهم وللقضايا الوطنية والقومية وقد كان خير مدافع عن القضية الفلسطينية وقضايا الصراع العربي الإسرائيلي الصهيوني، نفتقد اليوم مناضلاً ومثقفاً عربياً ورجل فكر وسيّدة جعل من حياته وقوداً لأهداف قيّمة ونبيلة وسعى جاهداً لأجل تحقيقها فخسارتنا به خسارة لايُعوضها سوى الوفاء لنهجه والإستمرار على خطاه فباسمي وباسم زوجتي ورفاقي في الجبهة الشعبية أتقدم إليكم بأصدق مشاعر العزاء راجين الله أن يتغمد الفقيد الرحمة ويلهمكم الصبر والسلوان.

أخوكم/ د. جورج حبش
وعقيلته/ هيلدا حبش
دمشق ١٩٩٨/٣/١

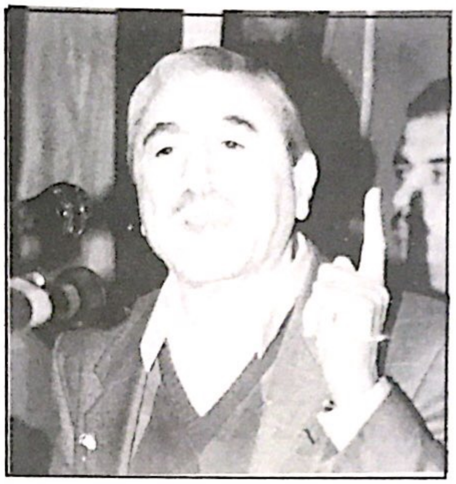
مهرجان مركزي في دمشق بمناسبة الذكرى ٢٩ لإنطلاقتها

الجبهة الديمقراطية تجدد العهد على مواصلة النضال

بمناسبة الذكرى التاسعة والعشرين لانطلاقتها، أقامت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين مهرجاناً جماهيرياً حاشداً في قاعة سينما النجوم في مخيم اليرموك ظهر يوم الجمعة السابع والعشرين من شباط ١٩٩٨.

وقد حضر المهرجان ممثلو فصائل الثورة الفلسطينية وأحزاب وقوى حركات التحرر العربية وممثلو سفارات الدول الشقيقة والصديقة.

ألقيت في المهرجان كلمات من ممثلي فلسطين وسوريا ولبنان والأردن والبحرين وكوبا. واختتم المهرجان بكلمة شاملة للرفيق نايف حواتمة الأمين العام للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين.



الرفيق نايف حواتمه



الرفيق ماهر الطاهر

كلمة الرفيق نايف حواتمة

بدأ الرفيق نايف حواتمه كلمته بتوجيه التحية إلى أبناء الشعب الفلسطيني في مخيمات الخارج وفي الداخل، كذلك التحية إلى شهداء الشعب والثورة والإنتفاضة، مهنئاً مناضلي الجبهة، وأبناء الشعب الفلسطيني بالعيد التاسع والعشرين للإنطلاقة، وبدخول الجبهة عامها الثلاثين. وأشار الرفيق حواتمه أن المناسبة التي نحتفل بها تتلاقى مع الذكرى الرابعة والثلاثين لتأسيس م.ت.ف ممثلاً شرعياً ووحيداً وإئتلافياً للشعب الفلسطيني. وقال إنّ خمسين عاماً من النكبة الكبرى لم تحل دون أن يواصل الشعب نضاله من اجل تقرير المصير والعودة وبناء الدولة المستقلة وعاصمتها القدس.

ولفت الرفيق حواتمه النظر إلى أن الإحتفال في اليرموك يتم إلى جانب احتفالات مماثلة لشعب فلسطين في القدس والضفة وقطاع غزة، والجليل والنقب، والساحل.

ومن على منصة الإحتفال بالعيد التاسع والعشرين وجه الرفيق حواتمه التحية إلى قوى الصمودالعربية في سوريا ولبنان، وإلى الحركة الشعبية الأردنية، وإلى كافة قوى النهوض العربي معاهداً على أن العام ١٩٩٨ سكيون عاماً للنهوض الوطني الجماهيري العارم في الأرض الفلسطينية المحتلة، لتطوير وتفعيل عملية النهوض العربية التي أطلت بشائرها في أزمة العراق مع الإمبريالية الأميركية في المظاهرات الشعبية التي اجتاحت عواصم العرب، وبالعمليات البطولية في جنوب لبنان. وأكد الرفيق حواتمه أن هذا يؤشر أن الحركة الشعبية العربية آخذة في النهوض بعد سنوات عجاف منذ حرب الخليج الثانية حيث هيمنت الإمبريالية الأميركية، مع السياسة التوسعية الصهيونية، ففرضت مؤتمر مدريد في مساره الفلسطيني الإسرائيلي الظالم، واتفاقات أوسلو وبروتوكولات الخليل.

وقال الرفيق حواتمه إن جريمة أوسلو الكبرى أنه أعطى نموذجاً ساماً لكل أشكال التسويات والحلول السياسية، إذ ترك الأرض الفلسطينية متنازعاً عليها دون أية إشارة إلى الإستيطان أو وقفه. وأضاف الرفيق حواتمه قائلاً، وعلى غرار أوسلو يقول نتنياهو للبنان نحن مستعدون لتطبيق القرار ٤٢٥ بترتيبات أمنية ليخلق «الصوملة» داخل لبنان، في صراعات لبنانية ـ لبنانية ـ وفي صف المقاومة وفي صف الشعب، وفي صف الدولة اللبنانية، كل ذلك من أجل تركيب نظام إقليمي جديد تحت الهيمنة الأميركية والتوسعية الصهيونية الإسرائيلية.

كما دعا الرفيق حواتمه إلى تحدي الولايات المتحدة ورفع الحصار العربي عن العراق، وعن ليبيا، وعن السودان، ليتحد الموقف العربي دفاعاً عن تطبيق متوازن لقرارات الشرعية، ولترفع إسرائيل حصارها عن فلسطين وشعبها.

وفي مواجهة اتفاق أوسلو وتطبيقاته الظالمة، وفي مواجهة دعوات نتنياهو لمفاوضات الحل الدائم على غرار كامب ديفيد قال الرفيق حواتمه: قبل الدعوة لمفاوضات نهائية، يجب وقف الإستيطان ووقف التوسع وتهويد القدس، فلا مفاوضات مع الإستيطان. ودعا الرفيق حواتمه إلى استراتيجية نضالية جديدة تواجه الواقع الراهن وتقوم على التالي:

أولاً: وقف المفاوضات حتى يتوقف الإستيطان.

ثانياً: الدعوة إلى حوار جاد ومسؤول لاعادة بناء وحدة الشعب التي مزقتها اتفاقات أوسلو. فاتفاق أوسلو ـ أضاف حواتمه يقول ـ أزمن الشعب الفلسطيني، وعلى طريق صوملته واسرلته. ولاحظ الرفيق حواتمه أن الإتفاق أدار ظهره لمليون فلسطيني في مناطق الـ ٤٨، و ٤ ملايين في الشتات، ومليوني ونصف المليون من اللاجئين في الضفة والقطاع.

ودعا الرفيق حواتمه إلى رفض هذا المصير الذي يرسمونه للشعب، فالشعب الفلسطيني شعب مناضل، وباسل يحمل السلاح، يقاتل بالسياسة وبكل وسائل النضال، ففلسطين ستبقى لشعب فلسطين، ولا للصوملة على يد العملاء الذين يتطلعون إلى أن يستغل كل منهم بغيتو تحت الهيمنة التوسعية الإسرائيلية ونعم لإعادة بناء وحدة الشعب، وحدة الإئتلاف الوطني بجبهة عريضة إطارها العام م.ت.ف الإئتلافية، وبرنامج وطني مشترك، هو برنامج العودة وتقرير المصير والدولة المستقلة وعاصمتها القدس.

وقال الرفيق حواتمه، وعلى هذه القاعدة نواصل بناء استراتيجية نضالية جديدة، تؤشر لانتفاضة جديدة متطورة، ولاستراتيجية وحدوية نضالية جديدة. ونناضل لاستراتيجية تفاوضية جديدة مرجعيتها الأمم المتحدة ومجلس الأمن، ولا للتفرد الأميركي.

واضاف الرفيق حواتمه نطرح هذا من موقع الصمود، ونقول للبلدان الإشتراكية الصامدة، لكوبا، للرفيق الصديق كاسترو، للصين، لفيتنام، لكوريا، اصمدوا ونحن معكم، فشعوب الأرض تتكاتف من جديد، ونقول لليابان، والإتحاد الأوروبي، ولروسيا وللصين، إن أزمة العراق أعطت هوامش واسعة من الفعل والتأثير، ولم يعد القول الأميركي وحده قادراً على الهيمنة على العالم.

ودعا الرفيق حواتمه إلى عقد قمة عربية شاملة، لاتستثني أحداً ترفع فيها الحصار عن ليبيا والسودان والعراق، وتعيد التواصل بين الأنظمة والشعوب.

كلمة د. ماهر الطاهر

وألقى الدكتور ماهر الطاهر عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، كلمة القيادة الموحدة للجبهتين وكلمة الجبهة الشعبية والدكتور جورج حبش وجه في مستهلها التحية إلى الجبهة الديمقراطية في عيد انطلاقتها كما هنأها على نجاح أعمال الكونفرنس الوطني العام الثالث. وأشاد بتضحيات شهداء الجبهة وكوادرها وأعضائها.

وتناول د. الطاهر المشهد السياسي الفلسطيني والعربي مشيراً إلى حدة الهجوم الصهيوني الإمبريالي، وبذات الوقت اشتداد حالة الإحتقان وتصاعد وتيرة المواجهة والمقاومة الشعبية في الضفة الفلسطينية والقدس وقطاع غزة، وفي جنوب لبنان والجولان المحتل.

وربط د. ماهر بين هذه الهجمة وتصاعدها وافتعال الولايات المتحدة لأزمتها مع العراق، وتواصل حصارها لليبيا والسودان ومناوراتها التآمرية ضد سورية وايران. ووجه الدكتور الطاهر دعوة لقمة عربية عاجلة بهدف تحقيق مصالحة عربية - عربية ودراسة السبل الكفيلة لمواجهة المخاطر المحدقة بجميع العرب كما دعا إلى فك الحصار عن العراق وليبيا والسودان.

واستعرض د. الطاهر المسيرة التفاوضية الفلسطينية ورأى أن استمرار المفاوضات في ظل الظروف الراهنة لم يعد له معنى ولايخدم سوى إسرائيل والولايات المتحدة. ودعا الدكتور الطاهر إلى وقف المفاوضات لأنها تشيع مناخاً كاذباً عربياً واقليمياً ودولياً يضعف أية محاولات لإسناد القضية الفلسطينية. كما دعا إلى البدء في حوار وطني شامل ومسؤول تشارك فيه كافة القوى والإتجاهات والشخصيات الفاعلة بهدف تحقيق إجماع وطني حول برنامج وطني شامل ومتفق عليه يقوم على قاعدة التمسك بكل حقوق الشعب الفلسطيني الوطنية. وأكد د. الطاهر ضرورة إعادة الإعتبار لمنظمة التحرير ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني، وكذلك ضرورة اعادة الإعتبار للبعد القومي للقضية الفلسطينية بعد أن تمّ ضرب هذا البعد، مما أوقع أفدح المخاطر بالنضال الوطني للشعب الفلسطيني. وتوجه الدكتور الطاهر إلى الجميع عربياً وفلسطينياً لاحياء الذكرى الخمسين للنكبة بأنشطة مختلفة ومتنوعة لكشف حقائق الصهيونية وجرائمها.

كلمة الرفيق سامي صالح

وتحدث الرفيق سامي صالح عضو اللجنة المركزية لحزب البعث العربي الإشتراكي، وأمين فرع الجولان حيث ألقى كلمة سوريا وحزبها في المهرجان. فنقل إلى الحاضرين «تحيات الرئيس السوري حافظ الأسد الأمين العام لحزب البعث العربي الإشتراكي» وتمنياته للجبهة الديمقراطية «بالنجاح الدائم في المسيرة المشتركة مسيرة التحرير والعودة، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها الأبدية القدس الشريف».

وأكد الرفيق صالح «عمق الترابط القومي بين سوريا، قائداً وحزباً، وشعباً وبين القضية الفلسطينية»، مشيراً في الوقت نفسه إلى «أن موقف سوريا هذا لم يكن موقفاً طارئاً بل يستند إلى رؤية شاملة لقضايا النضال القومي». وأكد الرفيق صالح «التزام سوريا المطلق بقضية الشعب الفلسطيني رغم خروج البعض عن المنطلقات الأساسية وأهداف الشعب الفلسطيني وتوقيع الإتفاقات المنفردة والمفرطة مع العدو الصهيوني». ورأى ان مثل هذه الإتفاقات كأوسلو ووادي عربة «لاتؤدي إلا إلى المزيد من نجاح العدو في اختراق صفوفنا، وإلى المزيد من التفريط بحقوق شعبنا».

وأكد صالح «تمسك سوريا بالسلام العادل والشامل القائم على الإنسحاب الكامل للإحتلال الإسرائيلي من الأراضي العربية المحتلة وإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس، ورفض السلام الذي يفتح الأبواب لمزيد من الهيمنة الصهيونية».

خطر الأحلاف المعادية

وحذر صالح مما تتعرض له المنطقة من هجوم «على يد الأحلاف العسكرية»، مشيراً إلى «أن الولايات المتحدة وحليفتها إسرائيل تلعب دور القوة الغاشمة التي لاهم لها إلا إركاع العرب والمسلمين وتمزيق كيانهم ونهب ثرواتهم».

وانتقد سياسة الكيل بمكيالين التي تتبعها الولايات المتحدة «لأنها تتعارض مع قوانين الحق والعدل والمساواة». تساءل باستهجان عن دور الولايات المتحدة «من استهتار اسرائيل المستمر والفاضح بالشرعية الدولية وتحديها لكل ما صدر عنها من قرارات». ورأى في تهديد أميركا للعراق «استمرار للنهج العدواني الصهيوني الأميركي على المنطقة كلها». وفي خدمة السياسة الإسرائيلية.

كلمة الأخ رزق البطاينة

وتحدث في المهرجان الأخ رزق البطاينة رئيس المنتدى القومي الديمقراطي الأردني، ممثلاً الحركة الوطنية الأردنية، فنقل إلى الحضور تحيات الأردن وشعبه، وقواه الوطنية والديمقراطية والإسلامية المعارضة، وأشاد بالجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين وبذكرى انطلاقتها وقال «يدعونا الواجب أن نحيي سفر نضال هذه المؤسسة وهي تسجل صفحات مشرقة من البطولة والفداء.

واستعرض البطاينة الهجمة المسعورة التي تقودها الولايات المتحدة ضد المنطقة العربية، وعلى الأخص ضد العراق وشعبه وعرض لأسباب هذه الهجمة، بدءاً من رغبة الولايات المتحدة في الإستيلاء على كل النفط العربي وصولاً إلى شل القدرة العربية لفرض الحل الأميركي - الإسرائيلي للقضية الفلسطينية وقضية الشرق الأوسط.

كلمة الرفيق فاروق دحروج

وألقى الرفيق فاروق دحروج الأمين العام للحزب الشيوعي اللبناني، باسم الحزب والقوى الوطنية اللبنانية كلمة هامة استهلها بوصف الجبهة بأنها «أحد المكونات الهامة لليسار الفلسطيني وفصيل نشط في حركة التحرر العربية».

ولاحظ الرفيق دحروج أن اتفاق أوسلو ألحق الضعف بالوضع العربي إذ سهل على بعض العرب إقامة العلاقات مع العدو الصهيوني، وأضاف يقول «نحن نتمنى أن يكون يقيننا في محله وان لايفوت اليسار الفلسطيني هذه الفرصة فيجتمع على تنوعه وغناه ويستجمع قواه ويحشدها بهدف تصحيح مسار الثورة الفلسطينية وانقاذها من الإنزلاقات التصفوية التي أوصلتها إليها القيادة الفعلية في م.ت.ف.».

كلمة السفير الكوبي بدمشق

كلمة كوبا ألقاها سفيرها في دمشق الرفيق أرنستو أباسكال استهلها بتوجيه التحية إلى الأمين العام للجبهة الديمقراطية مشيراً إلى أن عيد انطلاقة الجبهة يأتي في ظروف معقدة في ظل محاولات الولايات المتحدة تنصيب نفسها زعيمة للعالم وسيدة وحيدة له.

ورأى المتحدث الكوبي أن السلام لايتحقق على الطريقة الأميركية بل بالعدل والإحترام والإستقلال وبالمساواة المطلقة لكل شعب ولكل بلد.

كلمة الرفيق سيف بن علي

كما ألقى سيف بن علي، عضو لجنة التنسيق بين جبهة التحرير الوطني والجبهة الشعبية في البحرين كلمة حركات التحرر الوطني العربية والصديقة فحيّا في مستهل كلمته الجبهة الديمقراطية باعتبارها فصيلاً مناضلاً متواصلاً في عطائه، مستمراً في إسهامه في تطوير وتعزيز العمل الوطني الفلسطيني والمثابر على بلورة الشعارات النضالية جراء استقرائه وقراءته للواقع الفلسطيني وتعقيداته، وللقضية الفلسطينية الحية ابداً والمشتعلة دوماً.

وشدد ابن علي على رفضه لأي عمل عسكري ضد العراق مطالباً برفع الحصار الظالم عن شعبه داعياً لوحدته وسلامة أراضيه وأن يسوده السلام والعدالة والديمقراطية. وكرر تأييده الثابت للشعب الفلسطيني في نضاله الوطني، داعياً كذلك إلى رفع الحصار عن ليبيا، وكوبا، وكوريا الديمقراطية مجدداً تضامنه مع الشعب التركي في نضاله لأجل الديمقراطية وضد التسلط العسكرتاري.

مفاوضات المرحلة النهائية

حقائق القوة ضد قوة الحق

أحمد جابر

أثناء الإعداد لكتابة هذه المادة، طغى على اللوحة الفلسطينية، مشهدان اثنان: أولهما اشتداد عمليات الجذب الكلامي بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي، في تصريحات عكست مأزق عملية السلام ووصولها إلى نهايتها المحتومة، وثانيهما صور الجرافات الإسرائيلية كما تناقلتها وكالات الأنباء وهي تجرف مئات الدونمات من أراضي الزيتون في بيت لحم والقرى العربية، تمهيدا لضمها إلى مستعمرة افرات جنوبي المدينة، في سلوك شكل استمراراً وقحاً بحفر قبر ما يسمى بعملية السلام الفلسطينية - الإسرائيلية، ومن ورائها على الأرجح العربية - الإسرائيلية، هذه العملية وغيرها مما يجري يوميا من تدمير ممنهج لاتفاق كارثي بالأساس تطرح سؤالا كبيرا عن مستقبل هذه المسيرة وعن ما يسمى بمفاوضات المرحلة النهائية المقتربة حثيثا، هنا مقاربة.

قد يبدو مفيدا هنا أن نعيد إلى الضوء جانبا من ملابسات اتفاق أوسلو، فهو وقد جاء من جهة تتويجا لهزائم عربية متتالية، ومن جهة أخرى نتيجة للانسحاب المشبوه من قبل القيادة الفلسطينية، من مواقع التنسيق والمشاركة العربية، إلى مواقع شعار (يا وحدنا) سيئ الصيت والسمعة، هذا الاتفاق اكتنفه الغموض منذ البداية، مما أدى إلى لعب إسرائيل بحرية على تفسيرات هذه النصوص، والتي استهدفت دائما تفريغها من محتواها البائس أصلا، ودفعها باتجاه الخيارات الإسرائيلية في تجسيد فاضح لمقولة أن هذه الاتفاقات عقدها طرف وحيد مع نفسه.

عبرت هذه السياسة عن نفسها بأشكال متعددة سواء بالتلكؤ في تنفيذ الاتفاقات لأسباب واختلاقات مختلفة، ابتدأت مع رابين ومقولته الشهيرة «لايوجد مواعيد مقدسة» مزيحا موعد إنهاء المرحلة الثانية من إعادة الانتشار إلى أبعد بكثير مما كان مقررا، دافعا نحو طرح إعادة النظر في الاتفاقات على يد خليفته نتنياهو، مما أدى إلى صياغة جديدة لاتفاقية الخليل تركت المدينة رهينة في يد المستوطنين، ووضعت السلطة الفلسطينية بموافقتها على التعديل سابقة خطيرة ستكلفها وتكلف الشعب الفلسطيني الكثير فيما بعد، وأعطت إسرائيل أساسا قانونيا بموافقة فلسطينية لنقض كل الاتفاقات وطلب تعديلها تجاوبا مع ادعاءات الأمن الإسرائيلي والمجالات الحيوية على الأرض التي تطالب بها إسرائيل.

المرحلة السابقة اتسمت بسمتين رئيستين:

الأولى- الحركة الإسرائيلية المستمرة لتسوية الأمور على الأرض قبل حلول موعد المفاوضات النهائية. عبر التفتيت الجغرافي للأرض، من خلال عمليات المصادرة وتوسيع المستعمرات وزرع البؤر الجديدة وشق الطرق الالتفافية، مما يعيق أي تفكير بوحدة جغرافية فلسطينية تعطي الأساس لوحدة سياسية تجسد كيانا سياسيا كدولة، إضافة إلى تدمير ممنهج للاقتصاد الفلسطيني المنخور أساسا.

السمة الثانية – الفشل الفلسطيني المتواصل في تحقيق أي انتصار ولو صغيراً، أو أي تقدم لمصلحة الجانب الفلسطيني.

فقد نجحت إسرائيل في دفع الطرف الفلسطيني إلى مواقع الاشتباك الذاتي، عبر فتح معارك داخلية مع قوى المعارضة من جهة، الأمر الذي دفع بعيدا إمكانية نجاح أي مشروع لحوار وطني جدي، ومع المجتمع عموما من جهة أخرى، عبر مصادرة الحريات والتضييق على الصحف والإعلام وتشديد قبضة القوى الأمنية.

الجانب الفلسطيني فشل أيضا على الصعد المختلفة، داخليا لم ينجح في التقدم ولو خطوة واحدة باتجاه المصالحة الداخلية، علما أن السلطة لم تسعَ إلى المصالحة، إلا أنها لم تبد أيضا أي استجابة لمبادرات القوى الأخرى، كذلك فشلت السلطة في وضع أي مشروع لمواجهة السلوك الإسرائيلي والرد عليه ردا مناسبا يرتقي إلى مستوى الهجوم الإستراتيجي الحاصل.

وعربيا فشلت السلطة الفلسطينية في العودة جديا إلى الإطار العربي لأسباب تتعلق بعدم جدية هذه السلطة وتعاطيها الرسمي مع البعد العربي، وثانيها حالة عدم الثقة التي خلقتها، وبالتالي دفعت الأطراف العربية إلى عدم التعاطي جديا مع البيانات الإعلامية التي تطلقها، دون أن تصاحبها بسلوك يثبت جدية هذه الإعلانات.

هذه اللوحة قادت إلى نتيجتين مترابطتين:

الأولى: الإبقاء على مساحات الاشتباك كما هي دون أن يحدث تقدم مهما كان طفيفا، واستمرار المماطلة الإسرائيلية وإعلان نيتها القفز عن الالتزامات الفورية إلى المرحلة النهائية التي من المفترض أنها ستناقش القضايا الكبرى.

ومن جهة أخرى فان إسرائيل تقوم يوميا وعلى الأرض بفرض أمر واقع يفرض حدود المفاوضات النهائية ويرسم خرائطها سلفا، بحيث عندما يحين الوقت لا يكون هناك شيء للتفاوض عليه.

بعد ذلك يبرز سؤال المفاوضات بكليته: الجدوى والنتيجة؟ ومنه ينطلق سؤال آخر: عن الدور الأمريكي وحقيقته التي تواصل فضح نفسها، وعن ما تريده إسرائيل وما تفعله، وبالمقابل عما يفعله الفلسطينيون والعرب من ورائهم؟

أثبتت الوقائع منذ البداية وما تتكشف عنه الآن، حجم الخدعة الكبيرة بوجود مبادرة أمريكية للسلام، فالانحياز اليومي والإستراتيجي الكامل والتأييد المطلق لمطالب إسرائيل من قبل الإدارة الأمريكية يؤكد عدم وجود أي مبادرة سوى مبادرة فرض السلام الإسرائيلي، وقد سبق أن أكدنا أن إسرائيل بما هي عليه تمثل النموذج المثالي للسياسة الأمريكية في المنطقة، والأمور كما هو واضح تسير لمصلحة الفريقين الأمريكي والإسرائيلي، ففي حالة تأجيل الشروع في المفاوضات النهائية واستمرار إسرائيل برفض الالتزام بتطبيق الاتفاقات ستكون الفرصة سانحة لترسيخ أمر

واقع جديد يعرقل أي اتفاق ممكن وهذا ما يحدث الآن.

وفي حال الشروع فورا فان هذا سيتيح لإسرائيل أيضا القفز عن الالتزامات الفورية إلى المرحلة النهائية التي ستضيع في متاهات القضايا العالقة.

وفي كلتا الحالتين ستحصد إسرائيل المكاسب، والفلسطينيون الخيبة، ومرارة هذا الحصاد تتضح أكثر عند التدقيق في القضايا المؤجلة والتي من المفترض أن تناقشها المرحلة النهائية.

ضمن هذه القضايا تحتل القدس أهمية فائقة لاعتبارات متعددة تحيط بالمدينة المقدسة، دينية وسياسية وقومية واستراتيجية، وهذه الأهمية هي لكلا الطرفين بالمعنى الدعائي السياسي، وتصريحات نتنياهو الأخيرة حول عدم إمكانية التفاوض على المدينة تأتي في السياق الطبيعي للسلوك الإسرائيلي نحو المدينة التي وبموجب اتفاقات أوسلو نفسها يمنع إجراء أي تغيير فيها من أي نوع، والتصريحات الإسرائيلية تترافق مع فعل ميداني على الأرض في هجمة استراتيجية لتهويد المدينة، وإفراغها من سكانها العرب بمختلف الوسائل عبر مصادرة الهويات وإلغاء الإقامات ومصادرة الأراضي واحتلال البيوت وزرع البؤر الاستيطانية مما أدى إلى تمزيق وحدة المدينة من جهة وعزلها عن محيطها العربي من جهة أخرى، مما يضع العصي في دواليب أي حل يستهدف المدينة وأي مفاوضات ممكنة حولها.

الرد الفلسطيني اقتصر على ردود فعل بقيت قاصرة عن الارتقاء إلى مستوى الرد الشامل على الإجراءات المعادية، ابتدأ التقصير منذ اتفاقية أوسلو نفسها التي تركت نصوصها غامضة خاضعة لكل تفسير بل ومنذ لحظة الموافقة على تأجيل موضوع القدس إلى أجل غير مسمى وتركها رهينة بيد إسرائيل.

القضية الثانية والتي لا تقل أهمية على المستوى الإستراتيجي هي قضية اللاجئين الفلسطينيين وحق العودة، فإسرائيل ترفض عودة هؤلاء على الإطلاق بل حتى أن مفاوضات اللجان المتعددة والمنطلقة منذ سنوات لم تتوصل حتى الآن إلى تعريف باللاجئ والنازح، مع العلم أن إسرائيل ترفض عودة النازحين أيضا ماعدا قلة قليلة تنطبق عليهم المواصفات الإسرائيلية، والحديث عن اللاجئين يدور حول أربعة ملايين ونصف المليون فلسطيني حسب أكثر الإحصاءات تواضعا.

ثالث هذه النقاط، موضوع المستوطنات التي وافقت السلطة الفلسطينية منذ البداية على تركها تحت السيادة الإسرائيلية حتى المرحلة النهائية، واستغلت إسرائيل الفرصة لتواصل عملها الاستيطاني وزرع البؤر والمستوطنات قاضية على الوحدة الجغرافية للأرض مما يدمر عمليا أي فرصة لإنشاء وحدة جغرافية تمهد على الأرض لقيام وحدة سياسية تأخذ شكل دولة واضحة المعالم والأبعاد، الأخطر هو البعد القانوني الذي أعطي لوجود المستوطنات مما يعني ببساطة فرض السيادة الإسرائيلية على جيوب واسعة جدا من الأرض الفلسطينية مع ما يحمله من مخاطر أمنية وسياسية واستراتيجية على الدولة الفلسطينية المرتقبة بل على مفهوم السيادة بحد ذاته. وهذه هي النقطة الرابعة، موضوع الدولة والسيادة، هذه الفكرة التي فرغت من مضمونها منذ انتخابات المجلس التشريعي وفق الشروط الإسرائيلية والتدخل الإسرائيلي في قضية من صميم أعمال السيادة وهي موضوع الميثاق وتغييره وكذلك شكل ومحتوى ومعنى الصلاحيات التي تم نقلها والتي بقيت حتى الآن بدون أي بعد سيادي قانوني.

الوقائع الحاصلة تشير إلى أن المفاوضات على المرحلة النهائية قد بدأت فعليا منذ وقت طويل، رسمت خرائطها وحددت تخومها وفقا للمشيئة الإسرائيلية.

هذه النتائج لم تكن خارجة عن النسق الطبيعي لمفاوضات من هذا النوع،فالطريقة التي تمت بها المبادرة السلمية تهيئ لإنتاج صراع أكثر مما تمهد لإنهائه، وهذا يؤكد أن أوسلو في الحقيقة لم يكن سلاما وإنما إعادة إنتاج للصراع على نحو أشد، وكل ماحدث هو إضافة معطيات جديدة إلى اللوحة الصراعية. تشير إلى هذا التحولات الجارية على الصعيد الإسرائيلي والفلسطيني والعربي على حد سواء والتي تعيد التأكيد على الطابع المؤقت لأوسلو.

فعلى الصعيد الإسرائيلي يشتد التحول داخل المجتمع والسلطة السياسية باتجاه أكثر يمينية وتطرفا وانشدادا إلى مفاهيم الأمن والدفاع، وتتراجع دعوات إقامة أي شكل من الحوار أو العلاقة الإيجابية مع المحيط العربي، وتعكس هذه التحولات الحركة الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين وعلى الجبهة السورية واللبنانية سواء بسواء.

وعربيا نلاحظ ارتفاع وتيرة السخط العربي رسميا وشعبيا على إسرائيل بسبب سلوكها المتعنت وعلى أمريكا لكيلها المزدوج، وإحساس العرب بأن إسرائيل وحدها تجني ثمار السلام، والعرب يدفعون فواتير الحرب التي تشن ضدهم.

أما على الصعيد الفلسطيني فتشهد اللوحة تحولات عميقة لعل أهمها ما نلمسه من اشتداد المقاومة الشعبية بمستويات عديدة ووتائر متصاعدة، إضافة إلى اشتداد حدة النقد والرفض من داخل مؤسسة السلطة ومن رأس السلطة بالذات، مما يجعلنا نعتقد فعلا أن الساحة الفلسطينية تجلس على فوهة بركان مهيأ للانفجار في أية لحظة.

هذه اللوحة المتشابكة، التي تزداد تعقيدا يوما بعد يوم تدعونا للتأمل عميقا في الفعل المطلوب الآن، نحو أخذ زمام المبادرة وعدم الوقوف مكتوفي الأيدي.. ما العمل إذا؟

ثمة مهمات متعددة تتشابك جميعها لتشكل الرد الإستراتيجي الشامل على الاجتياح الإسرائيلي الجديد للحقوق الفلسطينية.

الطرف المؤيد للعملية أصبح يدرك تماما الآن بؤس هذا الخيار ونتائجه المأساوية، والشارع الفلسطيني ينتظر منه اتخاذ موقف جدي للعودة عما ارتكبه، وهذا يقتضي الاعتراف بفشل هذا الخيار أولا ثم المبادرة إلى فتح خطوط الحوار الوطني مع القوى الفلسطينية، حوار صادق وجدي يعيد الأمور إلى نصابها، يستند إلى التقييم والنقد والتصحيح، تمهيدا لوحدة وطنية تشكل ردا مبدئيا مطلوبا على الهجمة الإسرائيلية.

وهذه الوحدة لا يمكن أن تحدث كما قلنا دون اتخاذ مواقف سياسية تتصدى لسلوك الاحتلال والتفات نحو الشارع لاستعادة ثقته وتفعيله وزجه في المعركة، هذا أقل المطلوب من السلطة وأطرافها.

وإذا كان فريق أوسلو يتحمل المسئولية التاريخية بما آلت إليه الأوضاع فان هذا الكلام لا يعفي المعارضة من ضرورة التقدم لإحداث نقلة فعلية في الحركة السياسية الفلسطينية، نحو أخذ زمام المبادرة، لأنه إذا كانت كارثة أوسلو هي من صنع فريق معين، فان نتائجها وعواقبها تمس المصلحة الوطنية والقضية والشعب كله.

لذلك يكون خطيرا جدا وخطأ قاتلاً الانتظار حتى يغرق الآخرون متجاهلين أننا في المركب نفسه لأن من يدعي أنه خارج هذا المركب هو في الحقيقة خارج عن أي سياق للفعل والمسئولية.

ومن هنا فان الوقوف بعدمية عند حدود أوسلو يصل إلى مستوى الخطيئة الوطنية لأن هذه النظرة التي تدين الآخر وتدعي الطهارة الناتجة عن عدم الفعل إنما تقود الصراع إلى دوائر تريدها إسرائيل وأمريكا.

وبالتالي فالمطلوب الآن تجاوز حدود الاشتباك الكلامي والارتقاء إلى مستوى تقديم البديل التاريخي الشامل، مشروع نقيض بالكامل لأوسلو، أساسه الوحدة الوطنية والحوار المسئول والفعل البناء.

والأساس الآخر الضروري والحاسم هو العودة إلى السياق العربي والارتكان إلى الهوية القومية، فقد أثبتت التجربة لمن أراد أن يجرب أنه بدون الاستناد إلى الأمة والبقاء في سياقها لا مجال لأي خيار وحداني أن ينجح وفي أوسلو درس وعبرة لمن يملك إرادة الاعتبار.

وثمة أساس ثالث نشير إليه على عجل هو أساس الشرعية الدولية والقانون الدولي لتوفير الأساس القانوني الصحيح لكفاحنا، وهو كفاح لا بد أن يعود إلى سكته الطبيعية فالوقت من دم والعدو لا ينتظرنا ■■

الكفاح المسلح الفلسطيني:

المهام الدائمة والأسئلة المستمرة!

خليل حسين

شكل خيار الكفاح المسلح الفلسطيني المظهر السائد في أنماط النضال الوطني الذي مارسته الثورة الفلسطينية المعاصرة، وهو استجابة موضوعية نابعة من شرعية الوجود ا لفلسطيني كشعب مستقل له امتداداته القومية، ومن طبيعة العدو الإستيطاني الذي يُواجهه وقد بدا الكفاح المسلح وكأنه مفتاح الحل لمجمل الأزمات والمعضلات التي تواجه العملية النضالية.

إلا أن قياس فعاليته وصيغه سادها الكثير من الإسقاطات الإيديولوجية والنظرية المسبقة، دون مسايرة تطورات الفعل النضالي بأشكاله المختلفة، وتفاعلها مع بعضها البعض.

إن البحث في هذا العنوان، يستدعي رؤية المتغيرات النوعية التي حصلت في الواقع الفلسطيني الجديد الناشيء عن مفاعيل سياسة الأمر الواقع الإسرائيلية، ارتباطاً بالنظام الدولي الجديد القائم على أساس صراع المصالح، الذي يحدد نتائجه سلفاً مبدأ توازن القوى، فبناء سلطة الحكم الذاتي الفلسطيني، قام على مظاهر (القوة) «الأجهزة الأمنية ـ الشرطة» وهذا ليس دليل عافية، بقدر ما هو تعبير صارخ عن المأزق السياسي ـ الإجتماعي الذي تعيشه السلطة، يتجلى ذلك بتكوين سلطة وسيطرة اجتماعية قائمة على عمليات التوظيف الإجتماعي ـ المالي باشكاله المختلفة، وهي فاقدة لعناصر توازنها الإجتماعي الشاملة، الأمر الذي يؤدي إلى إحداث الخلل في تكامل وترابط النقد الإجتماعي الفلسطيني، مما يفقده قدرة التعبير عن نفسه بشكل متوازن ومستقل، بل إن توازن تلك الأجهزة الشكلي، قائم على أساس مدى قدرتنا على تلبية رؤية أصحاب القرار السياسي والقوى المرتبطة بها وتحديداً اسرائيل.

تأسيساً على تطور هذه الظاهرة، بمعزل عن تغذية وتفعيل عناصر التوازن المجتمعية الأخرى، ممارسات تنسجم مع المصالح الوطنية للشعب الفلسطيني، يمكن القول أنها أدت إلى خلق منظومة سياسية فكرية إجتماعية ـ ثقافية تتناقض مع القيم المادية والروحية للشعب الفلسطيني في مسار خدمتها للواقع الجديد.

وحتى تكتمل الصورة ولو نسبياً، هناك مجموعة من الأسئلة على الصعيد الإسرائيلي يساهم النقص بها في إستكمال صورة هذا الواقع، ومفتاحها ينطلق من:

هل أدى الواقع الجديد إلى حدوث تغيرات معينة في سلوكية وبنى الأحزاب الصهيونية الرئيسية، باتجاه الإعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني؟ وهل حصل تجديد لمنظومة المفاهيم والمبادئ التي توجه السياسات الأمنية الإسرائيلية؟ وبأي حدود يمكن لها التعايش مع المحيط العربي دون أن يكون ذلك على حسابه؟ أم أن مفهوم الأمن مازال فوق كل إعتبار، بل وقد تطور ليشمل إثارة النعرات الطائفية والمذهبية، في البلدان العربية، وجدلاً إلى بذل المحاولات والجهود لإيجاد تكتل غربي يلغي الفوارق بين الإرهاب ومقاومة الإحتلال بأشكاله المختلفة؟

وأخيراً هل انعكست منطلقات المسيرة السياسية على مبادئ العقيدة العسكرية الإسرائيلية التي مازالت تعتمد مبدأ الحرب الوقائية والضربة الإستباقية، ونقل المعركة إلى أرض الخصم... في ظل تمسك اسرائيل بمبدأ التفوق النوعي على المستويين التقليدي وغير التقليدي مدعومة باستراتيجية ردع شاملة في ظل امتلاكها لأسلحة التدمير الشامل وخاصة النووية منها، في ضوء ما تقدم لاوجود لفجوات ملحوظة بين الإيديولوجية الأمنية الإسرائيلية وبين ايديولوجية الدولة واحزابها الرئيسية، فهي تهدف أيضاً إلى بناء مجتمع متفوق، يستند إلى ترسانة عسكرية متطورة.

بهذا المعنى فإن الإستنتاج الأقرب إلى العقل يؤكد أن فكرة إنهاء الصراع بشكل عادل من المنظور الإسرائيلي فكرة غير واردة حتى الآن، والإستهداف الإسرائيلي من المشاركة «بالتسوية السياسية» ما هو إلا شكل جديد لاستثمار الأمر الواقع بما يتناسب وإدامة الصراع من الزاوية الإسرائيلية على قاعدة فرض المزيد من الهزائم السياسية على الفلسطينيين والعرب.

من هنا فإن ساحة المواجهة اختلفت عنها في السابق، حيث كان لمبدأ (الخسارة المتبادلة) مكان ما في معادلةالصراع، مع الإقرار أنه كان وما يزال يعمل لمصلحة العدو حتى في ظل مبدأ النسبية الذي يجب أن يحكم تلك المعادلة، وبالتالي فإن الاعتماد على إدارة المواجهة بالسياسات السابقة مسألة لم تعد واردة،

لتطوير شبكة الإمتصاص والإشتباك الإيجابيين، بحكم ما يحمله الواقع من مستجدات تستدعي البحث والتحليل في هذا الدافع الجديد من حيث:

١ـ العنصر الفلسطيني: دوره ومكانته في المواجهة.

٢ـ العنصر العربي: دوره في خارطة موازين القوى.

٣ـ روافع النضال الوطني الفلسطيني.

٤ـ دوافع وأهداف هذا النضال على المتسويات المختلفة.

أمام هذا الواقع وعناصره المختلفة وجدنا أنفسنا أمام مرحلة جديدة، دفعتنا إليها الوتائر العالية لوقع السياسات الإسرائيلية الأمريكية المختلفة وتتميز بالإنتقال القسري من مرحلة الدفاع الإيجابي إلى مواقع الدفاع المتحرك، بإتجاه الحفاظ على مواقعنا الأخيرة... مواقع المواجهة الإجتماعية - الثقافية - الفكرية - السياسية - والأمنية.

على هذا الأساس تتضح الأولويات في العملية النضالية، وهذا شيء ضروري لكيفية استثمار معطيات الواقع لخدمة القضية الوطنية.

إزاء التعاطي مع هذا الواقع يسود الساحة الفلسطينية ميلان أساسيان مختلفان: يتمثل الأول في رفض التعاطي مع الواقع الجديد، على اعتبار أن معطياته لاتستجيب لأطروحات وافكار أصحاب هذا الخط، انطلاقاً من الحفاظ على نقاء الأفكار والأطروحات، تلك التي تبلورت في حقبة زمنية سابقة، محاولين بذلك التحكم برؤية العقل للواقع، ومنعه من تجديد أدواته وطرائق عمله، من خلال الإعتماد على قياس الواقع العملي على الواقع النظري المتمثل في أذهانهم، وبالتالي فهم لايعيشون الواقع إلا من خلال الأفكار المصاغة سابقاً، هنا يكمن الخطأ المنهجي الذي يحاول عكس الإيديولوجية على الواقع وليس العكس، وبالتالي العجز عن نقد التجربة السابقة والتنكر للواقع وهذا هروب للخلف.

أما الميل الثاني فيعتقد اصحابه أن التماثل مع الواقع الجديد، وإستلهام منطقه يؤدي إلى خلق تفاعل أكثر مع الدينامية الداخلية والخارجية مما يساهم في تحقيق نتائج أفضل على صعيد الحقوق الوطنية الفلسطينية.

إلا أن هذا الإعتماد ينطوي على محاذير لاتقل خطورة عما يأخذ به أصحاب الميل الأول بإعتبار أن الواقع الجديد يتطور بشكل متناقض مع الأهداف والمصالح الوطنية الفلسطينية، والقيم السائدة في المجتمع الفلسطيني ومن خارج قيمه الثقافية، حاملاً أنماطاً للوعي تؤسس لمنظومة شاملة تخدم الواقع الجديد، وهنا تكمن خطورة الواقعية، فهي تصبح دعوة لتوطين المفاهيم والأفكار



والصيغ العملية المرادفة لها، حيث تصب باتجاه التكيف مع الواقع الجديد والتعايش معه، دون مقاومة أو إمتصاص ما يتضمنه من مسائل تتناقض مع عناصر بناء المجتمع الفلسطيني وهكذا يجد أصحاب هذا الميل أنفسهم خارج دائرة الواقعية إذا إفترضنا حسن النوايا. بل إنهم يصبحون جزءاً من آلة إنتاج الواقع الجديد.

التعارض والإختلاف ليس بالأمر السيء، فهذا يعتبر مصدراً من مصادر التطور والمعرفة، كذلك عملية التواصل الإجتماعي بأشكاله المختلفة.

إلا أن أي واقع، وبكل سماته ومقوماته يتطلب الأهم من هذا وذاك، فالممارسة تصبح الأهم في تفعيل عناصر العملية النضالية، لإدراك الواقع المقصود، حيث يتطلب ذلك تحديد واستنباط صيغ العمل حسب أولويات العملية النضالية الشاملة، وهي عملية ليست سهلة بل معقدة، وتخضع لضغوطات مختلفة من إتجاهات عديدة.

في كل الأحوال يتطلب ذلك مراجعة نظرية وعملية لأسس التجربة وبدون هذه المراجعة لايمكن إدراك مكامن الخطأ وبالتالي تصحيح الممارسة كمفهوم شامل.

إنطلاقاً من ذلك فإن مسألة تجديد التفكير العسكري الفلسطيني وروافعه إنطلاقاً من هذه الرؤية تصبح ذات أهمية استراتيجية قبل أن تكون تكتيكية، فهي تشكل أحد مرتكزات النضال الوطني الفلسطيني، دون أن يعني ذلك فقدانها لإستقلاليتها النسبية في كافة المراحل النضالية. فالعمل العسكري الفلسطيني، رغم إخفاقاته الميدانية قياساً بإمكانياته المتاحة، آخذين بعين الإعتبار قدرة إسرائيل على إستيعاب تأثيرات العمليات العسكرية المنطلقة من الخارج، إلا أنه شكّل نسقاً كفاحياً رئيسياً كأحد اشكال الإستجابة الموضوعية المنبثقة من فرادة وخصوصية الثورة الفلسطينية، ممثلاً بنظام من المفاهيم الخاصة بالعمل الكفاحي، وبنفس الوقت إحتل مكاناً هاماً في التفكير الفلسطيني الشائع، بهذا المعنى فقد تم تدارك أحد أهم أخطاء الثورة الفلسطينية المعاصرة، الذي تمثل في تطويع كافة عناصر العملية النضالية وحتى تقييمها إنطلاقاً من مدى مساهمتها. بالعمل العسكري المباشر. وما أن أنهارت الركيزة العسكرية حتى تحولت العملية النضالية إلى ما يشبه المناجم المهجورة، وتحول العمل السياسي الفلسطيني إلى غصن زيتون أخضر بيد أعدائه.

ليس هناك من وهم، أوأدنى شك بأن إتساع دائرة الإشتباك العنفي والمسلح مع العدو ببعدها الفلسطيني، ومهما تغيرت الأطر والتسميات التكتيكية والإستراتيجية، فإنها ستؤدي إلى تقليص نسبة الإختلال في موازين القوى، أو تحرير جزء من فلسطين فهذا أمر يتطلب تفعيل عناصر المواجهة الشاملة ببعديها العربي والدولي، خاصة في ظل حسابات الردع والردع المتبادل المدعومة بمظلة أسلحةالتدمير الشامل لدى الطرفين وتحديداً الإسرائيلي منها المتلك لترسانة نووية ووسائل استخدامها.

إلا أن ذلك لايعني البكاء والإنتظار على أطلال التجربة السابقة لما سيحمله المستقبل

وصيرورة الصراع، بل يعني قبل كل شيء استدراك اي سجال فكري قد ينطلق من قياس جدوى فعالية العمل العسكري الفلسطيني، وما قد يسببه من خسائر لدى الطرف الفلسطيني من زاوية أن ذلك سيكون تبذيراً تكتيكياً أو استراتيجياً مادام واقع الحال ينطق بهذه المعطيات.

نعيد إلى الذاكرة كلمات الجنرال فون كلاوزفيتر التي تقول (... في معظم الحالات تتفوق الأمة التي تعرف كيف تستخدم كل وسائلها القتالية بذكاء على الأمم التي تهمل إستخدام هذه الوسائل).

فعملية الإستخدام هذه بالضرورة تبدأ من المتوفر، ولن تكون إعتباطية، فإختيار الأساليب والصيغ التنظيمية الأفضل والأقدر على تفعيل تلك الإمكانيات وبمعزل عن الموقع والمكان الجغرافي الذي تتواجد فيه، سيشكل المقدمات الأساسية لإستمرار وتواصل العملية النضالية، بل أن ذلك سيساعد على تطوير الحقائق الراهنة في هذا المجال، لتشكل معها ظواهر وعناصر نوعية جديدة يفرضها التطور نفسه. وليس إمتداداً ميكانيكياً لهذه الحقائق والمعطيات، وبأهداف تنطلق من الواقع لكنها لاتتوافق معه...

في ذات السياق، من الضروري التمييز بين تبني استراتيجية حرب التحرير الشعبية كمنهج قتالي في مواجهة العدو، وبين البرامج والخطط التي تناسب كل مرحلة من مراحل النضال، من خلال إلتقاط الخصائص المميزة لكل مرحلة معينة، دون تقديس المبادئ والقواعد التي تنطلق من فحوى هذه الإستراتيجية الشاملة، بل يصبح من الضروري تحويل هذه المبادئ والقواعد إلى سياسات عمل يومية تلحظ الأهداف الإستراتيجية في إطار المواجهة الشاملة والمقصود بسياسات العمل اليومية، أسلوب إدارة وتنظيم المهام الأمنية والعنفية المسلحة المختلفة، وبغض النظر عن حجمها، بعيداً عن الإرتهان لما تسمح به ظروف إدامة الصراع من وجهةالنظر الإسرائيلية، أو اعتماد الطابع الرمزي والطقوسي في تأدية المهام المختلفة.

أهمية النجاح في تأدية المهام العنفية والعسكرية المختلفة، يُساهم في إيقاع الخسائر المختلفة في صفوف العدو، دون الإضطرار لمجابهة عناصر تفوقه النوعي التقليدية، وتساهم الفعاليات العنفية المسلحة أيضاً في تعرية المفاهيم الأمنية التي توجه السياسة الإسرائيلية في هذا المجال.

ويتمثل هدف النضال الوطني الفلسطيني في هذه المرحلة بإيجاد حالة من الإجماع الشعبي الفلسطيني والعربي حول ما تعنيه الإتفاقات الحاصلة من تجاوز وإنتقاص صارخ للحقوق الوطنية الفلسطينية، وبنفس الوقت إيجاد رأي عام عالمي يرى بأن هذه الإتفاقات لايمكن لها أن تشكل أسساً للإستقرار والسلام العادل في المنطقة وهذا يقود إلى الإبقاء على حالة الصراع مع العدو، حالة قائمة ويومية، كتعبير عن عدم الخضوع لإرادة العدو ومخططاته الإحتوائية، عبر استخدام إستراتيجية الإعياء المتدرج بهدف تقويض المجتمع الفلسطيني، كمجتمع متجانس ذي امتدادات قومية، وهنا لابد من الإحتراس والحذر الدائم من نوايا ومخططات العدو الرامية إلى إشعال الفتن الداخلية على المستوى الفلسطيني.

في مجرى الأهداف المباشرة للفعاليات العسكرية يأتي كشف وتراجع أوهام التعايش بين الإسرائيليين من جهة وفلسطينيي ١٩٤٨ بشكل خاص من جهة أخرى، كنموذج يحاول العدو إستثماره وتعميمه على المنطقة، مع إختلاف أشكال هذا التعميم من قطر إلى آخر.

يأتي هدف تهديد مشروعية الكيان الصهيوني «كنظام» يتبجح بانه واحة الديمقراطية في الشرق الأوسط، كهدف لايقل أهمية عن الأهداف الأخرى، وذلك من خلال زيادة حدة التناقضات «الداخلية» بين صفوفه لاسيما وأنه لايشكل واقعاً متجانساً من حيث عناصر بنائه وتطوره، وهذه مسألة ذات أبعاد استراتيجية تتسع وتقاس على قاعدة إرتباطها بفعالية العمل النضالي الفلسطيني، ولايخرج عن هذا السياق ضرب وتهديد الإستقرار الإجتماعي للمستوطنين، وإشعار العدو باستحالة حصول هذا الإستقرار مادام الشعب الفلسطيني يفتقده.

إن تكامل وتفاعل هذه الأهداف المختلفة، لتُصبح نتائجها سياسة يومية ضاغطة باتجاه إعادة ملف القضية الفلسطينية إلى الأمم المتحدة لتكون مرجعية اي مفاوضات، تجري على اساس قرارات الشرعية الدولية، فإستمرار حالة الصراع مع العدو في ظل رؤية أشمل وأعم، تهدف إلى تغيير موازين القوى من خلال تفعيل وإشتراك مجمل العوامل المؤثرة في هذا المفهوم، والذي لايمكن النظر إليه على انه الموجود على طرفي معادلة المواجهة العسكرية البحتة وعناصرها الرئيسية، اي عناصر القوة الشاملة وليس هنا مجال الحديث عنها أو تناولها.

الوصول لحالة توازن استراتيجي مع العدو ليس بالأمر المستحيل رغم صعوبة تحقيقه بفعل مجموعة من العوامل المؤثرة في هذه المعادلة على المستويات المختلفة، إلا إن ذلك وارد من حيث المبدأ، وبالتالي القدرة على فرض حل عادل يعيد الحقوق إلى أصحابها الشرعيين وهذه مسألة ليست مجرد أوهام أو نتاج رغبات ذاتية.

فتوازن القوى هو الذي يحدد كما هو معروف نتائج الصراع، والمفاوضات التي تجري على اساسه، عند ذلك سيكون الحديث عن حق تقرير المصير وحق العودة وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، مسألة ذات مقدمات مادية ملموسة وذات معطيات واقعية بل وأبعد من ذلك سيكون أيضاً الحديث عن إقامة دولة فلسطينية ديمقراطية أحد خيارات الحل الإستراتيجي للقضية الفلسطينية بكافة أبعادها ■■

تصريح صحفي

اثر الجريمة الصهيونية الجديدة في منطقة الخليل، والتي أسفرت عن استشهاد ثلاثة مواطنين فلسطينيين وجرح عدد آخر، أدلى الناطق الرسمي باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، بتصريح قال فيه:

تأتي هذه الجريمة الإسرائيلية الجديدة في سياق لاينفصل عن استمرار وتواصل الإعتداءات الصهيونية المستمرة على الشعب الفلسطيني، ولتفضح عن زيف الإدعاءات المخادعة حول توفير متطلبات الأمن للإسرائيليين لأن الشعب الفلسطيني هوالذي يفتقد للأمن في أرضه ووطنه.

إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، تؤكد أن الرد على هذه الإعتداءات لقوات الإحتلال لايكون عبر المضي في استمرار سياسة التفاوض البائسة، وإنما عبر أوسع تحرك وطني شعبي وبمختلف الأشكال للرد على المحتلين والتصدي لممارساتهم الفاشية.

إننا ندعو العالم أجمع لإدراك حقيقة ما يجري في الأراضي الفلسطينية المحتلة للوقوف في وجه الإرهاب الصهيوني المنظم الذي يهدد ليس الشعب الفلسطيني فحسب، بل كل شعوب المنطقة.

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
المكتب الصحفي
دمشق ١٩٩٨/٣/١١

في اللحظات الحرجة سقطت مدينة معان بين تداخل عقارب الساعة؟!

مصباح أحمد

عضو المكتب السياسي لحزب الوحدة الشعبية الديمقراطي الأردني

مدينة معان مثل كل المدن والقرى الأردنية، وسكانها يتشابهون في كل شيء مع الجماهير الأردنية الوطنية، وطنيون حتى النخاع وعروبيون قوميون ولكن معان ليست كغيرها في الجوع والحاجة إلى الكثير مما حظيت به مدن الأردن في مجالات الخدمات وتوفير فرص العمل، لذلك كان أهلها أكثر حساسية في عام ١٩٨٩م عندما عصفت الأزمة الإقتصادية وهبت رياحها لتصيب عصب الحياة العامة في البلاد، وكانوا الأكثر حساسية تجاه حرب الخليج الثانية عندما قطعت الطرق أمام آلاف من أبناء المدينة الذين تعودوا خطوط النقل بين العقبة وبغداد.

معان مدينة الفقر الأردنية ولاتحتمل ظروف أهلها وأبنائها أية أعباء اقتصادية مهما تكن بسيطة، وعليه كانت الأكثر رفضاً للقرارات الإقتصادية التي فرضتها حكومة «عبد الكريم الكباريتي» وبالأخص منها قرار رفع الدعم عن القمح والأعلاف، وفوق ذلك كله فإن المعانيين الذين تحتل مدينتهم موقع القلب من جنوبي الأردن كانوا على مدار السنوات السبع الماضية الشاهد الحي على جريمة حصار العراق، يرى بأم العين كيف يتم تفتيش كل شيء من حبة الدواء إلى علبة حليب الأطفال، وتلك كانت تكفي لكي يظل أهل المدينة حالة متوثبة لايقل انتماؤها للعمق العربي عن أي مكان آخر في ربوع الأردن من أقصاه إلى أقصاه في الإتجاهات الأربعة.

على هذه الخلفية يمكن محاكمة ما جرى في المدينة يوم ٢٠/ شباط وهي والحال كذلك لاتحتاج لمحرض خارجي فكل دوافع وعوامل التحريض كامنة في صدور ابنائها على مدار الساعة ولكن لماذا كانت ردة الفعل الحكومية مبالغاً فيها.

لماذا عزلت المدينة على هذا النحو ولمدة عشرة ايام كاملة، حظر تجول، قطع الكهرباء والهاتف، بوابات للدخول والخروج خمسون فرقة تفتيش تداهم بيوت المدينة بحجة البحث عن السلاح؟!

لقد أثار التناقض في الموقف من الأزمة الأمريكية المفتعلة ضد العراق بين الشارع الأردني وسياسة الحكومة التي يرأسها «د. عبد السلام المجالي» جدلاً ساخناً في عموم الأردن، وأصبح موضع سؤال كبير سر هذا التحول الرسمي الذي فاجأ الجميع بقرار يحظر المسيرات أو المظاهرات واشكال التعبير الأخرى مما أثار حفيظة الشارع الأردني الذي لم يستطع استيعاب فلسفة بيان وزير الداخلية عن الأضرار التي قد يلحقها موقف الشعب والشارع الأردني بالجهود التي تبذلها القيادة السياسية الأردنية لمنع وقوع العدوان الأمريكي ضد العراق الشقيق وتداول الشارع كثيراً ليفهم أسباب هذا الإنقلاب على العراق بين عشية وضحاها، فقد كان المسؤول الأردني والإعلام الرسمي لايكل ويملأ الدنيا ضجيجاً بدور الأردن تجاه العراق وكان الشارع يقابل ذلك بكل الرضا والسرور لأنه لمس مدى الفائدة التي تعود عليه نتيجة هذا الموقف.

وبلغ استياء الشارع الأردني مداه وهو يراقب عملية تزييف مبرمجة يقودها الطاقم السياسي الأردني واجهزة إعلامه المختلفة على عقل ووعي المواطن الأردني، فرفض محاولة إعتقال وعيه والحجز على إرادته بالتهديد والوعيد تارة، وظهور اسطوانة «المندسين» في كل كلمة يتحدث بها مسؤول أردني مهما كانت درجته، الأمر الذي جعل سخرية المواطن تصل حد الجنون أحياناً ويتساءل في قرارة نفسه وعلى الملا إذا كان المواطن يملك الوعي وأعلى درجة تعليم، وإذا كان المجتمع الأردني يتفوق على المجتمعات العربية في تعليمه، فهل يجوز أن يتم اعتقال وإغتيال كل ذلك بسبب «مندس» لاوجود له إلا في ذهن وزير أو موظف.

لقد حار المواطن في فهم تناقض الحكومة مع إدعاء الديمقراطية، وحار أكثر وهو يسمع مقارنة جائرة وإستخدامية بين ما يتمتع به المواطن الأردني ونظيره في بلدان مجاورة أو غير مجاورة، ومع ذلك يحرم عليه أن يعبر عن رأيه بشكل سلمي وديمقراطي، وخرج المواطن باستنتاج مؤداه أن محاولة حكومية للخلاص من تبعات عام ١٩٨٩م، التي فرضت هذا الإنفراج تجري بشكل مبرمج من أجل إخضاع الشارع عموماً لعلاقات ذات أحكام عرفية ولكن بثوب ديمقراطي.

وإذا كانت قوى الأمن على إختلافها قد عبرت عن شيء اثناء محاولة تنظيم مسيرة يوم ٢/١٣ في عمّان، بدءاً من دخولهم باحة الجامع الحسيني إلى مهاجمة المصلين حتى قبل أن تكتمل الصلاة والإعتداء بالضرب على كل من واجههم في تلك اللحظة بالصدفة، فإنما عن جوهر السياسة الرسمية الجديدة للأردن تجاه العراق والتي يمكن تلخيصها مكثفة في الرغبة بالتنصل من تبعات موقف ٩١ م، وإرضاء السياسة الأمريكية والإتساق معها وتنفيذ رغبات قادة البيت الأبيض في تحييد دور الشارع الأردني وإبعاده تدريجياً عن الإنتصار للعراق وشعبه.

وهي التي يمكن أن تصلح اساساً لمعالجة خفايا هذا الضغط الهائل مادياً ومعنوياً الذي جعلته الحكومة هدفها المباشر وعملت على تحقيقه بكل السبل حتى يؤدي الأمر إلى افتعال مواجهة أو أكثر في مدينة أو أكثر.

فهل تراها معان كانت المكان الذي تم إختياره، أم أنها كانت مجرد صدفة حققت الغرض المطلوب يوم الخميس ١٩/ شباط، هرع إلى معان نوابها والوزراء والوجهاء ممن كانوا خارج المدينة، لأن المعلومات التي توفرت لهم أكدت أن النية مبيتة لشيء ما في المدينة وخلاصة للحوار اتفقوا مع مدير شرطة المدينة أنهم سيقومون بمنع المسيرة سلمياً ودون تدخل أجهزة الأمن ودون السماح بوقوع الأسوأ. وكان ذلك فعلاً وغادر المصلون مسجد المدينة ولكن كانت المفاجأة... رصاص، حشود قوات الأمن، الكلاب البوليسية قنابل الغاز المسيل للدموع ومطاردات في الشوارع.

سقط مواطن برصاصة وأصيب آخرون بجروح.... أهالي معان ونوابها حملوا وزير الداخلية دم القتيل «أهل القتيل حملوا الوزير وأجهزة الداخلية دم فقيدهم... والحكومة المتهمة بافتعال الحدث اجتهدت لإثبات أن الرصاص المستخدم في الجريمة لاتستعمله أجهزة الأمن الأردنية...!! ولكن.... لماذا في معان».

مسؤول أردني رفيع قال: «تكررت في المدينة المواجهات... ربما هو شيء من الدلع الذي تعود عليه أهل معان...!».

والذي لايعرف المدينة وأهلها يخطر بباله أنها قريبة من أحياء العاصمة عمّان «الشميساني أو عبدون» ولكن الذي يعرفها يستغرب أن يطلق على أهلها هذا التعبير، ... فلمن كانت رسالة العنف الحكومية تلك...؟!

بعض عظام الرقبة والمقربون من صنع القرار أوصلوا رسالة الحكومة بأن أمر إعلان الأحكام العرفية على الطاولة وأن توقيعه سيعتمد في الساعات القادمة...!!

لقد كانت تلك ساعات حوار الأمين العام للأمم المتحدة «كوفي عنان» مع القيادة العراقية فإما يتم تنفيس الوضع المتفجر ويعلن الإتفاق، وإلا فإن أمريكا الجاهزة بأساطيلها ستقوم بعملية البلطجة رغماً عن الإرادة الدولية.

والأردن الذي تلقى التحذير من مغبة خروج الشعب إلى الشوارع إحتجاجاً وسخطاً وبما لايعرف مداه كان جاهزاً لتلك اللحظة... فقد وقعت معان ما بين عقارب الساعة فشهدت المذبحة ■■

خلفيات وأبعاد الموقف الروسي في الخليج

موسكو تبدأ رحلة العودة إلى المنطقة...

خليل جنداوي

يقال أن للفشل أباً واحداً... أما النجاح فله آباء عديدون...

هذا القول ربما يفسر بعض الشيء كثرة الأطراف التي تدعي أن موقفها كان حاسماً في منع الضربة العسكرية على العراق خلال الأزمة الأخيرة. الفرنسيون يقولون ذلك... والصينيون والروس وكوفي عنان وبعض الدول العربية بل والطليان أيضاً...

والحق يقال فكل هؤلاء مصيب بشكل أو بآخر في ادعائه. فمن ضمن الأسباب الأكيدة التي كبحت الرغبة الأمريكية والتي مازالت موجودة حتى هذه اللحظة وبقوة، لضرب العراق يمكن أن نضع ذلك الموقف الدولي الواسع الذي أعلن صراحة رفضه لوجهة النظر الأمريكية القائلة باعتماد القوة العسكرية خياراً وحيداً في التعامل مع بغداد. وحتى أولئك الذين يرتبطون بعلاقات تقليدية مع واشنطن وجد غالبيتهم أن الأسباب الحالية التي يقدمها البيت الأبيض غير كافية أبداً لتبرير الضربة العسكرية التي قالت كل التوقعات انها ستكون كبيرة مما سيسفر عن عدد ضخم من الضحايا الأبرياء.

مع ذلك يملك الروس أكثر من غيرهم بعض الحق لنسبة الإنجاز الجديد لأنفسهم، وهل يستطيع أحد أن يسقط من حساباته وجود نائب وزير الخارجية الروسي فيكتور بوسفاليوك في بغداد طوال فترة الأزمة أي حوالي ٤٠ يوماً؟ من جهة أخرى يجب أن ندقق في حالة الاهتزاز التي أصابت الموقف الفرنسي لبضعة أيام خلال الأزمة، حيث بدت باريس خلالها وكأنها باتت أقرب لموقف واشنطن. لكن هذا الوضع لم يستمر طويلاً، حيث استعادت فرنسا موقفها السابق الرافض للضربة العسكرية. لذلك للأمانة نقول أن هذا الرأي العام الدولي الرافض للتوجهات الأمريكية ما كان ليتبلور أساساً لولا الموقف الروسي الذي تشبث حتى النهاية بخيار الحل السلمي للأزمة.

قبل الغوص في خلفيات وأبعاد الموقف الروسي، يجب أن نشير إلى أن السياسة الروسية السابقة تجاه منطقتنا كانت تثير مشاعر عديدة ليس أولها الاستغراب ولا آخرها عدم الارتياح، فمنذ انهيار الاتحاد السوفييتي والانطباع السائد هنا أن موسكو أخذت بتسليم كل عناصر قوتها للأمريكيين لتكتفي بدور الوصيف أو التابع، الأمر الذي انعكس ليس فقط على مصالحها الخارجية وتحديداً في منطقتنا، بل وحتى في الداخل الروسي. وعندما بدأ الروس محاولات خجولة لتغيير هذه الصورة بتبني بعض المواقف المتعارضة مع التوجهات الأمريكية كان يكفي الولايات المتحدة أن تمارس بعض الضغوط أو التلويح بشيء من الاغراءات حتى يبلع الكرملين كلامه ويعود إلى «انضباطه» خلف القيادة الأمريكية للعالم.

ومشكلة موسكو انها عندما إكتوت بنار الشريك الأمريكي ـ أو بالأحرى من صدقوه عندما ادعى انه شريك ـ وأحست بمخاطر جدية تتهدد ليس مصالحها فقط بل وأمنها القومي، وأرادت فعلاً أن تكسر حلقة الهيمنة والتفرد الأمريكيين في السياسة الدولية، لم تجد الكثيرين الذين يصدقونها. هذه الحقيقة قد تفسر أشياء عديدة منها عدم تحول الاعلان الروسي ـ الصيني حول عالم متعدد الأقطار إلى استراتيجية محددة يتبناها البلدان. كذلك الأمر مع حالة عدم الثقة التي تشعر بها الدول الأوروربية لفكرة «البيت الأوروبي المشترك» التي طرحها يلتسن أكثر من مرة خلال الأشهر الماضية، رغم الاغراءات التي يشي بها هذا الشعار الذي يعود إلى أيام غورباتشوف. نفس الشيء ينطبق على ما يمكن أن نسميه سوء الفهم الذي ينتاب البعض من الموقف الروسي تجاه العراق، فرغم الجهد الكبير الذي بذلته الدبلوماسية الروسية لمنع ضرب العراق، ورغم نجاحها في ذلك حتى هذه اللحظة، ليس غريباً أن نصادف وجهة نظر تقول أن الروس لم يفعلوا أصلاً سوى تجميل الاستسلام للرئيس العراقي صدام حسين. وحسب هذا الرأي فإن النشاط الروسي المكثف خلال الأزمة صب في النهاية لمصلحة واشنطن بل وقدم لها خدمة كبيرة، فالولايات المتحدة أخذت كل ما تريده بالمناورات الدبلوماسية دون أن تضطر إلى اطلاق طلقة واحدة. ويضيف أصحاب هذا التفكير أنّ هذه ليست أول مرة يفعلها الكرملين، ففي كل المرات السابقة التي شهدت توتراً بين بغداد وواشنطن، كانت موسكو تتدخل وتفلح في النهاية باقناع بغداد بالتراجع عن موقفها مقابل وعود روسية كبيرة، كانت تتكشف بعد فترة على لا شيء...

ورغم أن ظاهر الأمور قد يقود إلى مثل هذه الاستنتاجات، إلا أن التعمق أكثر في الموضوع سيتيح لنا مشاهدة صورة مختلفة. فقبل كل شيء يجب أن نلاحظ أن ثمة عوامل عديدة تجعل الأزمة الأخيرة تختلف عن كل سابقاتها. فلو إنطلقنا من نظرة موسكو للغايات الأمريكية المفترض تحقيقها من الضربة العسكرية، سنجد أن القيادة الروسية كان لديها قناعات أن الأهداف الأمريكية أكبر بكثير من الكلام المعلن عن تدمير أسلحة الدمار الشامل العراقية وشل أي قدرة مستقبلية على إنتاجها. ورغم أن الكرملين لم يقل ذلك صراحة عبر مسؤولين رسميين، لكن من الواضح أن موسكو تركت ذلك للمعارضة ولوسائل الاعلام الروسية التي أسهبت في هذا الموضوع ومستندة في حالات كثيرة لتسريبات حكومية. فقالت بوضوح أن الولايات المتحدة تريد من خلال ضربتها العسكرية ضد العراق تحقيق أهداف استراتيجية على الصعيد الدولي تتمثل في «اختبار متانة هيمنتها واستفرادها في العالم»، وهكذا «يصبح العراق بعد البوسنة وتوسيع الأطلسي ثالث أهم امتحان لزعامة واشنطن الكونية»... كذلك تستهدف الضربة ـ حسب وسائل الاعلام الروسية ـ تذكير العالم والعرب بالجهة التي تتخذ القرار في الشرق الأوسط وهذا يعني توصيل رسالة لكل من موسكو وباريس أن واشنطن لا ترغب بأي وجود لهما في هذه المنطقة. أما في الحالات التي قام بها بعض المسؤولين الحكوميين بالادلاء بدلوهم في هذا المجال، فإنهم فضلوا عدم الكشف عن اسمائهم، كذاك المسؤول الذي سرب للاعلام معلومات استخباراتية مؤكدة عن وجود مخططات أعدتها الادارة الأمريكية لتقسيم العراق، وما الضربة العسكرية إلا مرحلة متقدمة في تنفيذ هذه المشروعات. هذه الاستهدافات الاستراتيجية تعني قبل أي شيء أن كبح الخيار العسكري الأمريكي أوقف عملياً تنفيذ هذه المشاريع.

من جهة أخرى يجب الانتباه إلى حجم المصالح الروسية في العراق. فهي لا تبدأ من الديون المستحقة على بغداد والتي تُقدر بعشرة مليارات دولار، وطبعاً لا تستطيع روسيا أن تحصل عليها قبل رفع الحصار. ولا تنتهي هذه المصالح بالصفقات العديدة التي وقعتها الشركات الروسية في العراق والتي تقدر بحوالي ٧٠ مليار دولار وهي أيضاً تنتظر رفع العقوبات. عدا عن ذلك فالعراق صديق تقليدي لروسيا. كانت بالنسبة له الشريك التجاري الأول. وإذا علمنا أن

اعادة إعمار العراق ستكلف إجمالياً حوالي ٣ تريليونات (ألف مليار)، لأدركنا حجم الآمال التي يعلقها الكرملين على هذا البلد لحل بعض مشاكل روسيا الاقتصادية. هذه الأرقام وقرب العراق من الحدود الجنوبية لروسيا وتحديداً لمنطقة قزوين الغنية جداً بالنفط، جعلت بعض المحللين الاستراتيجيين يؤكدون أن العراق يشغل مكانة مميزة في التوجهات المستقبلية الروسية التي يصيغها وزير الخارجية الروسي يفغيني بريماكوف بهدوء وصمت لاستعادة مجال نفوذ بلاده الضائع في منطقة الشرق الأوسط. وحسب هذا الرأي فإن الكرملين لا يبدي الكثير من الحماسة للتدخل في المفاوضات المتعثرة لتسوية الصراع العربي - الاسرائيلي، مفضلاً رؤية واشنطن وهي تتخبط أكبر وقت ممكن في هذه المشكلة التي تستنزف سمعتها وهيبتها، إلى أن تسترد موسكو بعضاً من عافيتها... وفي هذا السياق يجب الانتباه للأهمية التي يشغلها النفط في مشروعات موسكو الاقتصادية للمستقبل، فمع التدهور الذي أصاب الصناعة الروسية بعد الانفتاح الاقتصادي ونتائجه المرعبة، يصعب - بل يستحيل - تصور أي ميزانية سنوية دون الأرقام الكبيرة التي تمثلها نسب تصدير النفط والغاز. وبالتأكيد فإن اللوبي النفطي الروسي الذي يطمح لممارسة دور احتكاري عالمي، لا يستطيع تجاهل حقيقة أن العراق لديه ثاني أو ثالث أكبر احتياطي نفط في العالم. الأمر الذي يجعل شركات النفط الروسية ومعها المجمع العسكري - الصناعي الطامع لاستعادة السوق العراقية، يبذلون ما في وسعهم للضغط على الكرملين ليقاتل حتى النفس الأخير لافشال المخططات الأمريكية للاستفراد بهذه المنطقة.

لكن ورغم أهمية ما ذكرناه من عوامل أساسية شكلت خلفية للموقف الروسي الأخير، إلا أنها وحدها لا تكفي لتفسيره، وخصوصاً أن هذه الحقائق ليست جديدة أبداً، ولا يمكن القول أن موسكو قد وعتها متأخرة. إذن بلاشك هناك أسباب أخرى أحدث وبالتأكيد أعمق وأكثر خطورة ... وهذا بالضبط ما نجده في الصدمة الهائلة التي تلقتها روسيا في أيار الماضي إثر قرار حلف الناتو بضم أعضاء جدد إلى صفوفه من بلدان أوروبا الشرقية التي كانت حتى سنوات قليلة فقط حليفة لموسكو. رب قائل أن روسيا في كل الأحوال تملك قوة ردع نووية من المفترض انها كافية للدفاع عن أمنها القومي وبالتالي تكفي لابقاء الشعور بالطمأنينة لدى الروس. لكن هذا الكلام يغفل العديد من الحقائق مثل أن مجرد توسيع الناتو رغم إنتهاء الحرب الباردة يعني أن هناك عدواً، يجري الاستعداد على قدم وساق لمواجهته، هو هنا روسيا بالتحديد. وهذا ما يؤكد أن الولايات المتحدة مازالت تفكر بالعقلية القديمة القائلة بإحتواء روسيا بل وربما تفكيكها. الأمر الثاني هو أن نصب أسلحة نووية في أراضي الأعضاء الجدد سيقلص إلى درجة كبيرة إمكانات الرد الروسي، لأن أي ضربة صاروخية نووية في حال حصولها لن تتطلب كالسابق أكثر من عشرة دقائق للوصول لموسكو، بل أقل من ذلك بكثير. هذا الواقع الجديد فاقم الاحساس بالخطر في الوجدان الروسي وعلى كافة المستويات وأدى في المحصلة إلى القضاء على ما تبقى من ثقة بالأمريكيين. ولم تقف الأمور عند هذا الحد، بل مازالت تتفاعل مع محاولات الناتو الدؤوبة لتطوير علاقاته مع الجمهوريات السوفييتية السابقة سواء في البلطيق أو أوكرانيا والتي لا تخفي رغباتها بالانضمام للحلف. إذا كان هذا هو الوضع من جهة الغرب، فإنه ليس بأفضل في الجنوب وتحديداً في آسيا الوسطى والقوقاز وحوض بحر قزوين التي تشهد توغلاً أمريكيا وصل إلى درجة خطيرة تهدد بطرد روسيا من المنطقة التي ظلت لقرون طويلة وحتى سنوات قليلة فقط حكراً عليها، الأمر الذي يثير قلق وغضب الكرملين، علماً أن هذه المنطقة ليست فقط قريبة من منطقة الخليج العربي، بل هي مثلها أيضاً تدخر في أعماقها احتياطات هائلة من النفط والغاز. على ضوء ذلك يمكن القول أن موسكو لا تدافع فقط عن مصالحها في العراق حين تمنع الضربة العسكرية عنه، بل هي عندما تكبح المشاريع الأمريكية المبيتة ضد العراق والمنطقة، إنما تقاتل دفاعاً عن روسيا بالذات في خط أمامي متقدم لإيقاف الأمريكيين عند حدهم.

في أوج الأزمة أدلى زعيم الحزب الشيوعي الروسي غينادي زوغانوف بتصريح لمحطة تلفزة عربية (الجزيرة) أثناء تظاهرة شعبية كبيرة بمناسبة «يوم الجيش الأحمر»، والملفت أن هذا التجمع الضخم حمل شعارات عديدة تتضامن مع الشعب العراقي وتندد بالحشودات العسكرية الأمريكية، وقتها قال زوغانوف «لو كان الاتحاد السوفييتي لايزال موجوداً لكان يكفيه اصدار بيان واحد يعلن فيه رفضه للحرب ضد العراق ولكان كل شيء انتهى بسلام». كلام زعيم الحزب الشيوعي الروسي يقود إلى حقيقة مهمة هي أن موسكو اليوم ليست هي نفسها في السبعينيات والثمانينيات. وأهم ما يميز روسيا الحديثة هو ضعفها، ولاشك أن قادة الكرملين كانوا مدركين جيداً لهذا الواقع الذي عكس نفسه على طريقة تعاطي الدبلوماسية الروسية مع الأزمة والتي أقل ما يقال عنها انها لم تكن تعبر عن عقلية دولية عظمى واثقة من نفسها، فمثلاً أكثر المسؤولون الروس من التصريحات النارية التي كان يجيب عليها الأمريكيون بسخرية واضحة، كقول كلينتون أن «نييت الروسية لا تعني لا الانكليزية بالنسبة للولايات المتحدة»، في معرض رده على تصريح الرئيس يلتسن: «إن تصرفات كلينتون ستتسبب بحرب عالمية ثالثة». ومع ذلك فالتحرك الروسي لم يكتف بالتصريحات القوية، بل اتبعها بحركة ديبلوماسية واسعة امتدت ساحتها من الصين إلى اسبانيا مروراً بالعواصم الأوروبية والمنطقة العربية، ولا ننسى وجود فيكتور بوسفاليوك في بغداد طوال فترة الأزمة.

بعد توصل كوفي عنان لتسوية الأزمة اثر زيارته لبغداد، يمكن القول أن الديبلوماسية الروسية حققت نجاحاً واضحاً، لكنه يظل عرضة للتبدد والضياع على ضوء تطور الوضع لاحقاً، فأي ضربة عسكرية أمريكية قادمة قد تلغيه أو تُظهر تفاهته. لكن ثمة مؤشرات تؤكد أن موسكو حريصة جداً على عدم منح الأمريكيين هذه الفرصة أو على الأقل منعهم من استغلال الشرعية الدولية لتغطية أي خطوة عسكرية. هذا ما نلتقطه من حديث خاص ليفغيني بريماكوف إلى عدد من نواب الدوما تسربت أجزاء منه للصحافة. حيث أخذوا على السياسة الخارجية الروسية قصورها في اسناد الموقف العراقي، فأكد لهم أن المندوب الروسي لدى مجلس الأمن الدولي لديه توجهات واضحة بالتصويت بالفيتو على أي قرار للمجلس يؤيد ضربة عسكرية «حتى لو وقفت كل دول العالم مع أمريكا وظلت روسيا وحدها».

مع ذلك فالتحركات الروسية في المنطقة لم تقتصر على العراق فقط، وهذا ما يدفعنا لربط الموقف الروسي الأخير خلال الأزمة مع نشاطات الديبلوماسية الروسية في المنطقة والتي كان منها استقبال وزير الخارجية الايراني كمال خرازي في موسكو حيث تركز البحث على الوضع في منطقة بحر قزوين والأزمة العراقية، ومن الملفت أنه في كلتا المنطقتين يقف الأمريكيون خصماً لكل من طهران وموسكو، ولا يجوز هنا أن نسقط من حساباتنا حقيقة كون ايران تظل هدفاً محتملاً للحشودات الأمريكية في الخليج. لكن الأهم من هذا كانت الزيارات المتتالية التي قامت بها وفود روسية رفيعة المستوى لدمشق. كان ابرزها زيارة الوفد الحكومي الذي ضم مجموعة من الوزراء الروس لسوريا في أواخر شباط حيث وقع الطرفان على اتفاقات هامة كان ابرزها اتفاق حول التعاون للاستخدام السلمي للطاقة النووية. مع الاشارة إلى أن الرسالة التي حملها الوفد معه من الرئيس يلتسن للرئيس الأسد كانت تقول صراحة أن روسيا ترغب ببعث تحالفها الاستراتيجي مع سوريا. وأكدت صحيفة «روسكي تلغراف» الروسية خبر اعتزام روسيا إستئناف صفقات التسليح لسوريا بمعدات حديثة، وأشارت إلى أن «تسريب هذا الخبر هو رسالة معنونة إلى واشنطن»، وأضافت الصحيفة أن الجانبين بحثا زيادة فعالية الوجود العسكري البحري الروسي في ميناء طرطوس الذي يعتبر القاعدة الوحيدة التي يستخدمها الأسطول الروسي على شواطئ البحر الأبيض المتوسط.

هذه اللوحة السابقة بكل تلاوينها المتنوعة تشير إلى أن الروس بدأوا بشكل أو بآخر رحلة العودة للمنطقة عبر البوابة العراقية التي سبق وخرج منها الاتحاد السوفييتي مع اندلاع حرب الخليج الثانية. ورغم الأهمية الخاصة التي توليها موسكو لبغداد، إلا أنه من الواضح أن استراتيجية العودة الروسية واسعة ولا تقتصر على العنصر العراقي فقط. وخشية وقوع أحد في حسابات خاطئة يجب ملاحظة ان العودة الروسية بدأت بطيئة وربما ستظل كذلك لفترة طويلة... ربما بسبب ضعف موسكو، وربما تأثراً تقليدياً بالعقيدة العسكرية السوفييتية القائلة: «الدب يتقدم ببطء، لكنه لا يتخلى ببساطة عن مواقعه الجديدة...» ■■

فضيحة الموساد في بيرن

تصدع صورة الجهاز المثالي

سمير الزبن

في الوقت الذي انتهت فيه لجنة تشخنوفر المكلفة في التحقيق بفضيحة اغتيال خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس في عمان، وقدمت تقريرها إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي. تفجرت فضيحة الموساد في بيرن العاصمة السويسرية. وتقرير اللجنة الذي سعى إلى حماية رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو ورئيس جهاز «الموساد» داني ياتوم. بعدم تحميلها المسؤولية لهما.

سرعان ما أدت فضيحة بيرن إلى إجبار ياتوم على تقديم استقالته من منصبه، فتكرار الفشل الذي مني به جهاز «الموساد» والذي عمل على تغيير الصورة الأسطورية للجهاز، وخفض مكانته بطريقة جعلت الشكوك تدور حول كفاءته ومستوى أدائه لمهامه، وتصاعد الدعوات من أجل إعادة النظر بآليات عمله وطريقة ارتباطه برئيس الوزراء. وكما فعلت العملية الفاشلة للموساد في عمان، من زعزعة العلاقات الإسرائيلية ـ الأردنية وتعريضها للخطر، فإن العملية الفاشلة في بيرن كذلك عرضت العلاقات السويسرية ـ الإسرائيلية للخطر، فإن العمليتين قد قامت بهما اسرائيل في أراضي دولة صديقة، مما عكس عدم إحترام اسرائيل لعلاقات الصداقة مع الدول التي تصنفها باعتبارها دولة صديقة. وهي ليست المرة الأولى التي تقوم فيها إسرائيل بعمليات داخل سويسرا، أو في أراضي دولة غربية صديقة، فمن المعروف أن اسرائيل لاتتورع عن القيام بالتجسس حتى على حلفائها الإستراتيجيين، وفضيحة بولارد الذي لايزال يقبع في السجون الأمريكية، لتجسسه على وزارة الدفاع الأمريكية لصالح إسرائيل مازالت ماثلة في الأذهان. لذلك لاتتورع إسرائيل على القيام بأي مهمة تجسسية طالما هناك اعتقاد، بأن ذلك يخدم مصالحها، وفضيحة بيرن لاتختلف عن هذا السياق.



تفاصيل العملية

بدأت العملية بالتقييم الإسرائيلي لنشاطات «حزب الله» وهو الحزب الذي طالما قام بعملياته العسكرية ضد الجيش الإسرائيلي في الشريط المحتل، ولكن هناك اعتقاداً في الأوساط الإسرائيلية، أن هذه الإستراتيجية لحزب الله أخذت في التغيير، وهو يتوجه إلى القيام بعمليات تستهدف المصالح الإسرائيلية في أوربا والخارج، وهي تحمل «حزب الله» مسؤولية الهجومين اللذين وقعا في بونس أيرس في الأرجنتين عام ١٩٩٢/١٩٩٤ وأديا لمقتل أكثر من مئة شخص.

واعتقاداً من أجهزة الإستخبارات الإسرائيلية أن «حزب الله» يخطط للهجوم على مواقع اسرائيلية في بيرن ـ السفارة الإسرائيلية وغيرها ـ وأن هناك شخصاً سويسرياً من أصل لبناني يدعى عبد الله الزين متورط في عمليات الأرجنتين. فقد قرر جهاز الموساد التنصت على هاتفه، باعتباره أحد كوادر حزب الله التي على علاقة بالعمليات الخارجية. وحسب الصحف الإسرائيلية، فإن تفاصيل العملية كانت على الشكل التالي بعد إعادة بنائها: في التاسعة والنصف من صباح الثلاثاء ١٧ شباط، صعد خمسة عملاء للموساد، امرأتان وثلاثة رجال طائرة بوينغ ٧٥٧ تابعة لشركة «العال» الإسرائيلية أقلتهم من تل أبيب إلى زيورخ. ودخل الخمسة سويسرا بجوازات سفر إسرائيلية، وكان في انتظارهم سيارتان تحملان لوحتي تسجيل سويسريتين. وليل الأربعاء ـ الخميس توجه عملاء «الموساد» إلى ضاحية سكنية تبعد عن بيرن ١٠ كيلومترات، وفي وقت متأخر من الليل في الساعة الثالثة صباحاً، تولى عميل متخصص في الخلع والكسر فتح الباب الخارجي الذي يؤدي إلى قاعة المبنى، قبل أن يدخل ثلاثة من العملاء المبنى وينزلوا الطبقة السفلية لزرع أجهزة التنصت فيما كان عميلان يؤمنان المراقبة خارج المبنى، أثارت حركة المراقبين

المريبة انتباه امرأة من سكان الجوار فاتصلت بالشرطة. وقد قبضت شرطة بيرن على عملاء الموساد الخمسة بالجرم المشهود، ثم أطلقت الشرطة أربعة منهم، وابقت الخامس موقوفاً وهو الشخص الذي عثرت بحوزته على أدوات للخلع وعلى معدات الكترونية متطورة، وقد أدهشت هذه المعدات الشرطة السويسرية، وقالت مصادر في مكتب المدعي العام الفيدرالي أنه لو نجح «الموساد» في العملية لما اشتبه أحد بالتنصت على الخط الهاتفي.

لكن حتى لو لم تكتشف الشرطة السويسرية العملية فإنها كانت فاشلة، فحسب الصحف الإسرائيلية أن «الموساد» دبر العملية بناء على معلومات خاطئة. فقد كشفت تفاعلات الفضيحة فيما بعد، أن عبد الله الزين الذي سعى الموساد للتنصت عليه لم يعد من سكان المبنى منذ مدة طويلة. وقد أكد الجيران أن من يقطن الشقة زوجة الزين السابقة المطلقة منذ أربع سنوات وتدعى باتريسيا فايتني التي قالت للصحافة الإسرائيلية أن «معلومات موساد كانت خاطئة لأن الزين ترك المنزل منذ أربع سنوات» أي أن «الموساد» وجه نشاطه إلى الموقع الخطأ، بصرف النظر عن نجاح أو فشل العملية.

تفاعلات الفضيحة

ما إن كشفت السلطات السويسرية عن العملية حتى اعتبرت ذلك اعتداء على سيادتها وخرقاً للقانون الدولي. وقد قالت المدعية الإتحادية السويسرية بعد الكشف عن العملية، أن مكتبها «و[illegible]، تحقيقاً في انتهاك مشتبه به لحظر مفروض على جمع معلومات سياسية وربما عسكرية بصورة غير مشروعة» وأضافت «أن لدينا عناصر كافية تثبت أن الموساد متورط» وتابعت «حكومتنا تحتج بشدة على هذا الإعتداء على سيادة سويسرا والقانون الدولي من جانب عضو في وكالة الإستخبارات الإسرائيلية أنه حادث غير مقبول، ننتظر اعتذاراً من اسرائيل». كذلك قال وزير الدولة للشؤون الخارجية جاكوب كلينيرير، أن السفير الإسرائيلي في سويسرا استدعي وتسلم احتجاجاً رسمياً من سويسرا. واضاف «هذا الحادث غير مقبول وسيكون له تأثير سلبي على العلاقات بين الدول الصديقة».

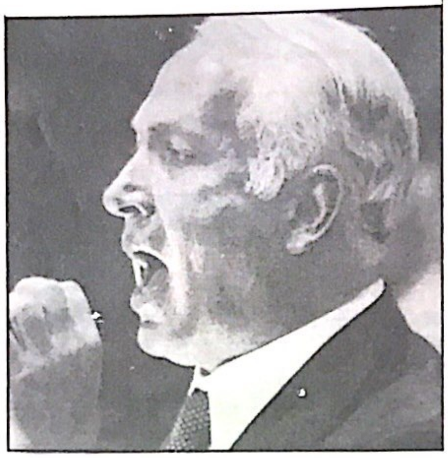
وفي إسرائيل ما إن أعلنت الفضيحة، حتى امتنع نتنياهو عن التعليق سوى بكلمات قليلة حيث تعهد بحل النزاع الديبلوماسي مع سويسرا قائلاً: «اعتقل مواطن اسرائيلي في سويسرا وعلينا أن نهتم بالأمر... ليس عندي ما أضيفه».

ولتطويق تفاعلات الفضيحة قدمت اسرائيل اعتذاراً عن العملية، وقد وجهت رسالة الإعتذار إلى كل من الرئيس السويسري ووزير خارجيته، وكتب فيها إيتان بن تسور المدير العام لوزارة الخارجية الإسرائيلية معبراً عن أسفه «للتعقيدات التي سببتها هذه العملية للحكومة السويسرية». وقال مسؤول سويسري أن الإسرائيليين «عبروا في الرسالة عن اعتذارهم» وقالوا «أن هذه القضية ستحل بسرعة وأن العلاقات بين الجانبين ستستمر» ولكن رسالة الإعتذار لم تتضمن ضمانات بعدم إنتهاك سيادتها مرة أخرى، كما فعلت كندا في فضيحة اغتيال خالد مشعل. ويبدو أن السويسريين لم يتوقعوا أن تتفاعل الفضيحة بهذه الصورة، حيث فوجئوا بالضجة التي أحدثتها العملية، ولكنهم أصبحوا راغبين في الخروج منها والتعتيم عليها، من خلال عدم نشر أي تفاصيل جديدة. لطي الموضوع نهائياً.

الفضيحة في اسرائيل

أكد العديد من المسؤولين الإسرائيليين وعلى رأسهم أرييل شارون، أن ما يجري في «الموساد» يشكل خطراً، خاصة فيما يتعلق بتسرب المعلومات من الجهاز نفسه، مما فتح الطريق لمعالجة أوضاع «الموساد» بعد تكرار الفشل الذي أصابه وقد كشفت الصحف الإسرائيلية عن فشل آخر اصاب الموساد في الفترة الأخيرة. وهي محاولة اغتيال أحد قياديي «حزب الله» فشلت دون الإعلان عنها.

وبالعودة إلى تقرير لجنة تشخنوفر التي عالجت عملية خالد مشعل والإنتقادات التي وجهت لعمل اللجنة ولتقريرها. فقد أكدت اللجنة على أنه ليس ثمة ما يمنع مستقبلاً من الإقدام على هذا النمط من العمليات، فإنه من غير المتخيل أن تعمل قيادات حماس في الأردن، ولاتستطيع اسرائيل مهاجمتها ووفقاً لأعضاء اللجنة، ليس ثمة ما يمنع الموساد من العمل في الأردن في المستقبل. وبالتأكيد ما ينطبق على الأردن ينطبق على غيرها من الدول وهذا ما أثبتته عملية سويسرا. ولكن التقرير قد تعرض للإنتقادات وقد اعتبرها المحلل الإسرائيلي يؤنيل ماركوس «لجنة





هروب». قد كتب قائلاً: إن سلم القيادة في هذا الفشل واضح جداً، رئيس الحكومة هو المسؤول وزارياً عن الموساد، فيما رئيس الموساد، كموظف دولة، يخضع له بشكل مباشر. وبعد الفشل الذي ألقى برجال الموساد في السجن الأردني وتعرضهم لخطر تقديمهم للمحاكمة وإصدار أحكام عليهم بالإعدام، فإن الفشل المهني كله هو فشل داني ياتوم. ومن الوجهة الشكلية كان لرئيس الحكومة أن يطيح به، أو على الأقل تجميد مهام منصبه: واعتبر أن امتناع نتنياهو عن الإطاحة فوراً بياتوم أمر محاط بالغموض ومرتبط على مايبدو، بشيء لايعرفه سواهما في طريقة اتخاذ القرار، وأبوة العملية ومن الذي عرض الأمر على الآخر... ويستنتج ماركوس أن بيبي وياتوم قررا على مايبدو التغطية على بعضهما أثر الفشل: ياتوم لايطاح به في مقابل أن لايلقي هو بمسؤولية الأمر على رئيس الحكومة. وضمن «ميزان الرعب» القائم بينهما، وعلى رغم غضب حسين واستمرار الفضيحة.

لم يكن هذا الإنتقاد هو الإنتقاد الوحيد، لقد تزايد الحديث في اسرائيل عن ترهل «الموساد» وإنخفاض أدائه ومستواه التقني، مما أكدته عملية سويسرا، وبذلك لم يعد ياتوم قادراً على الإستمرار في منصبه بتكرار الفشل، فإضطر لتقديم استقالته. ولكن هذا لم يغلق ملف الموساد، ففي النهاية لايمكن تحميل المسؤولية إلى شخص واحد، فطبيعة أداء الجهاز نفسه بحاجة إلى إعادة مراجعة. إن عمل الجهاز على ما يظهر، أنه ينتمي إلى زمن مضى وانقضى. ويبدو أن قادته لايدركون ما يجري على الساحة السياسية، أو هم يعملون ضدها وهذا هو الأكثر ترجيحاً. إن حماية الجهاز بسن قانون جديد يحمي أعضاءه من المساءلة لايعالج الوضع، لأن نتنياهو يستخدم هذا الجهاز بآليات الحرب الباردة، من هنا فإن عمليات من هذا النوع ستتكرر، وستصاب بالفشل أيضاً، فعلاج مشكلة الموساد ليس علاجاً تقنياً فقط، بل يتعلق بأداء الجهاز داخل السياسة الإسرائيلية ■■

٨ آذار: اليوم العالمي للتضامن مع المرأة

المرأة الفلسطينية في لبنان سفرٌ طويل في النضال*

فيروز الناجي

عملت الجمعيات الإجتماعية في لبنان وأهمها جمعية النجدة الإجتماعية التي كانت تحت إسم (بيت أطفال الصمود) تأسست بعد ١٩٧٦، من خلال عمل المرأة الفلسطينية وأصدقاء الشعب الفلسطيني، على إنشاء مجموعة من الأقسام التي توزعت فيها المراكز فيما بعد، وسط ظروف قاسية جداً، وأهم أقسامها: قسم رياض الأطفال، قسم التربية والتعليم، قسم الشؤون الإجتماعية الذي أقر برنامج القروض عام ١٩٨٧، قسم التأهيل المهني، وكل قسم من هذه له متابعاته الميدانية، ومراكزه في كل مخيمات لبنان.

في الشمال: روضتان، مركز مهني، مركز شؤون اجتماعية، مشغلان.

في البقاع: مركز تأهيل، مشغل تطريز، مشغل قش.

صيدا: منجرة كبيرة، روضة كبيرة نموذجية، مركز تأهيل مهني للتعليم والإنتاج، حضانة للأطفال، قسم شؤون، مشغلا تطريز (عين الحلوة، المية ومية).

صور: روضتان (البرج ـ البص) أربعة مراكز تأهيل مهني تتوزع في الرشيدية، والبص، والبرج، والقاسمية، وأربعة مشاغل تطريز، وقسم شؤون.

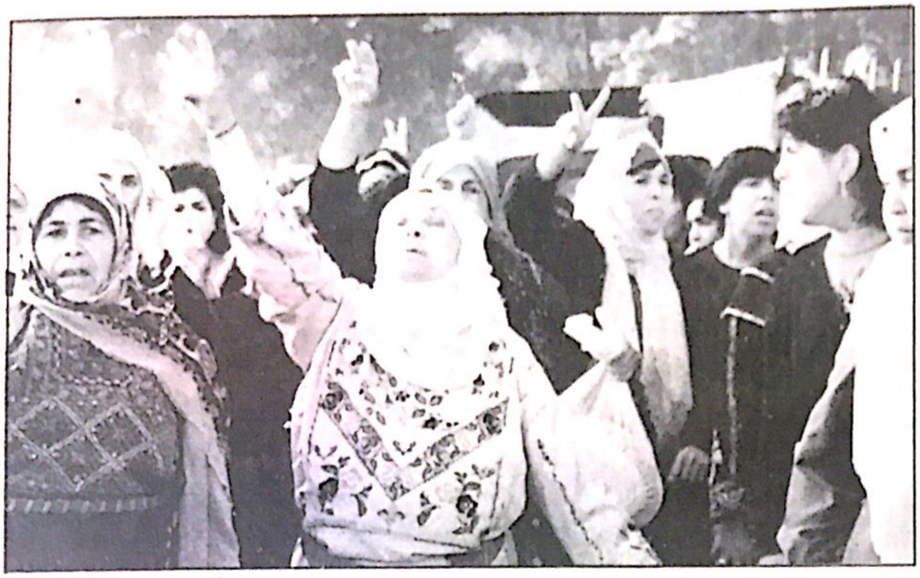
بيروت: ثلاثة مراكز تأهيل مهني، مجموعة من الروضات، مشاغل تطريز تتوزع في مخيمات بيروت، معمل لتحضير مواد التطريز وخياطتها، وتجهيزها للتسويق، محلان للتسويق.

ومن هذه المراكز انطلقت رحلة المرأة الفلسطينية في لبنان، حيث تم اعتقال خمسين فلسطينية ولبنانية عام ١٩٨٢ منهم مريم عبد الجليل، أم صلاح جمعة، أم كفاح (برج الشمالي)، نجاح الحاج (صور)، يسرا القاضي (الرشيدية).

ولم تتوقف هذه الرحلة لا بتأثير الإعتقال ولا بتأثير القتل... ومن حق تلك المرأة أن نتوقف قليلاً أمام رحلتها.

ادركت المرأة الفلسطينية ومنذ البدايات الأولى للحركة الإستعمارية في فلسطين، والعالم العربي، أدركت أنها تعيش في واقع يبحث عن أدلة لكل شيء، وأهمها أدلة الوجود، فسعت دائماً للتدليل على وجودها، وعملت دائماً على تعزيز الهوية الوطنية والحفاظ على الإنتماء للوطن، والأرض، وقد استطاعت تحقيق العلاقة الجدلية بين القضايا الإجتماعية، والمطلبية وبين القضية الوطنية الأساسية، أينما وجدت سواءً في داخل فلسطين المحتلة، أو خارجها في دول الشتات، والعالم، وقد برز هذا الدور النسائي بشكل ملفت في لبنان، وخصوصاً منذ الإجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢، حيث كان دورها امتداداً لدور سابق متميز، ولكن منذ الإجتياح الإسرائيلي للبنان، أصبحت المشاركة النسائية تمتلك وجوهاً جديدة، حيث أفرزت هذه المرحلة مهمات كثيرة على المستوى النسائي، ذات طابع دفاعي، وهذا في ظل وجود الإتحاد العام للمرأة الفلسطينية حيث كان قائد العملية النضالية للمرأة لأنه كان موحداً حينها، وكانت المرأة وبالرغم من القصف والحصار مستعدة للقيام بكل المهام الموكلة إليها، حتى أن مجموعةً من النساء بقين مع المقاتلين لآخر لحظة في بيروت، هذا إضافة إلى العمل النسائي المكثف في ظروف الهجرة من المخيمات للمناطق الأكثر أمناً، حيث تحتم على الإتحاد، والهيئات النسائية، أن تفرز لجاناً نسائية للإهتمام بالمهجرين ورعايتهم، وتأمين التموين، والإهتمام بالظروف الصحية، وتدعيم صمود المقاتلين، والمساهمة بنقل الذخيرة، ولجان رعاية الجرحى، بالرغم من الحصار. ولم تتوان المرأة الفلسطينية عن المشاركة بمهام قتالية.

فالمرأة الفلسطينية قادرة، ومستعدة للعمل الوطني بكل أشكاله. حين تُعطى الفرصة لذلك، ولكن الأخطاء التي ارتكبها الإتحاد العام للمرأة، ولم يتنبه لها، أدت إلى انحسار دورها، حين قام بحملة تنسيب في أواخر السبعينات وصلت إلى



٢٤٠٠٠ امرأة دون فعالية، وإنما بهدف خدمة عملية انتخابية، حيث تم خلق قيادة منعزلة عن هذا الإطار النسائي الذي نُسب، ولم تعمل على تأطيره، علماً بأن مَنْ أبدت الإستعداد للإنتساب كانت مستعدة للعمل المنظم، ولكن لم يُعمل على تنظيم هذا الإطار بعد التنسيب، وإنما تم التعاطي معه بمحطات وبشكل موسمي، وحتى في هذه الحالة كانت مشاركته في هذه المحطات واسعة جداً، وتحت شعارات سياسية واضحة كمحطة (الإجتياح - الحرب الأهلية - حرب المخيمات، وغيرها) أما الإطار الذي لم يُنسب في المخيمات والذي كان عدده قريباً من العدد المُنسب، كان يشارك في كل النشاطات التي يُدعى إليها، ولكن وبسبب عدم متابعة عمل المرأة، وتفعليها دائماً، كانت بعد كل محطة، تعود إلى الإنزواء بسبب إهمالها، وتحجم عن التنظيم، وخصوصاً أنه لم ترتبط مشاركة المرأة بالمهام الوطنية العامة ببرنامج يبرز أهمية دور المرأة في أي مجال، حتى أن المرأة المنظمة في العمل السياسي، ولهذا السبب، لم تكن مشاركتها بمستوى مشاركة النساء في المخيمات وفيما بعد عام ١٩٨٢ حيث تأثرت كل الأطر الوطنية بنتائج الحرب، وتحول العمل من شكل إلى شكل عمل آخر، ولم يعد العمل علنياً كالسابق، وأصبح هناك تباين بأشكال العمل، فخُلق واقع جديد نتيجة اعتقال الآلاف من الرجال خصوصاً، ومجزرة صبرا وشاتيلا، وهذا كله خلق دوراً متميزاً للمرأة الفلسطينية، في ظل حدوث تحول في البنية الاجتماعية، فوجدت المرأة نفسها أمام مسؤولية مباشرة سواءً عن قيادة اسرها، وقيادة عمل وطني سياسي، وخصوصاً في الجنوب، واستطاعت أن تكون بحجم هذه المسؤولية، حيث عملت على خطين متوازيين سياسياً من خلال نشاطها بإصدار بيانات وقيامها بحملات إعلامية، مكنت الهيئات النسائية من دراسة حجم المأساة على المستوى السياسي، وحدوث المجزرة حتم مهام اجتماعية كبيرة لاتنفصل عن كونها مهام وطنية، حيث جاءت في الفترة التي كانت الهيئات النسائية تعمل فيها على إعادة الناس وجمهرتهم، ولديهم الإستعداد الكبير للإستمرار، فحملت المرأة الفلسطينية في لبنان على اكتافها مهام الإغاثة، والرعاية الإجتماعية، وبناء المنازل وإزالة الردم، مؤاساة العائلات التي فقدت معيلها، إلى جانب رفع لواء الدفاع عن المعتقلين، والمطالبة بإخراجهم من كل السجون، واستطاعت المرأة في تلك الفترة أن تمنع اعتقال الكثير من الشباب على مستوى بيروت، هذا كله إلى جانب استغلالها لكثافة التواجد الإعلامي حينها في المخيمات لترسل إلى كل العالم الصورة الحقيقية لمأساة شعبنا، ولوجه «اسرائيل» الدموي، والأهم تنبه المرأة إلى مسألة في غاية الأهمية، فبعد خروج المقاتلين بدأت تعمل على إعادة الناس إلى المخيمات من تجمعات التهجير، حتى لايُخلق واقع يلغي المخيمات، وطبعاً هذا لم يكن سهلاً وسط الخوف الذي ساد بين الناس، ومع هذا لم تستكن المرأة الفلسطينية لكل الممارسات ضد الفلسطينيين لتيئيسهم، فتصدت بقوة واستطاعت أن تنجز الكثير من خلال إيمانها أولاً بعدالة القضية الوطنية، ولن ننسى التذكير بأنها تصدت لتحويل المخيمات إلى خيام، واصرت على أن ما تهدمه «اسرائيل» من جدران لن يهدم قناعة الشعب بعودته إلى وطنه وحريته وحقه في الحياة كباقي الشعوب، وهذا استمر حتى بعد هدوء الأوضاع في لبنان، بعد حرب المخيمات، حيث بقيت المرأة الفلسطينية قادرة على خلق أشكال جديدة للعمل والنضال في ظل أي ظرف، فقبل أوسلو بفترة وبعده، وحيث تأثر الشعب الفلسطيني في لبنان بشكل كبير مما حدث، وفي ظل إلغاء الحقوق المدنية للفلسطينيين في لبنان، استطاعت المرأة أن تساهم بشكل كبير في الإبقاء على الإحساس الوطني، والإنتماء للوطن وتعزيز المطالبة بحق العودة، وذلك من خلال النضالات اليومية المتراكمة، والتي خلقت حالات نوعية في أوساط الشعب الفلسطيني، فلم تستسلم للواقع، بل حاولت الإستفادة من كل المؤسسات الإجتماعية القائمة، من خلال العمل بها علىتطوير الشعب الفلسطيني على صعيد الكفاءات والتوعية الحقوقية والصحية، وذلك بإقامة الدورات المختلفة، وتطوير برامجها، فانشئت مشاغل تطريز، ومراكز تأهيل مهنياً، ومعملاً لتحضير مواد التطريز، وخياطتها، وتجهيزها للسوق، ووضعت برنامج قروض للخريجين لبدء مشروع خاص يساهم في تقليل حالات الإحباط عند الشباب بسبب عدم وجود عمل، وحاولت من خلال هذه الجمعيات واهمها جمعية النجدة الإجتماعية المنتشرة في كل مخيمات لبنان، حاولت الخروج عن المألوف بإقامة دورات للنساء تُعتبر مخصصة للرجل، مثل النجارة وغرف النوم، والديكور، ورسم فني، جبصين وتنفيذ وورق الجدران، وكهرباء، فاستطاعت المرأة الفلسطينية أن تبدع في هذه المجالات، حتى أنها عملت فعلياً بعد التخرج، فهناك نساء يعملن في ورشات، وتم التقليل من الدورات التقليدية لأنها لم تعد مجدية مادياً.

بالطبع لم يأت هذا الإقبال من المرأة على غير المألوف من فراغ، وإنما لظروف الشعب الفلسطيني في لبنان أثر كبير في هذا، وخصوصاً بعد أوسلو وتأثيراته على فلسطينيي لبنان خصوصاً، ووسط هذا استطاعت المرأة أن تواجه الإتفاق بتكريس الإنتماء الوطني والتمسك بحق العودة، وهذا كان واضحاً في الأزمة الأخيرة للاونروا، حيث ساهمت المرأة بشكل كبير في مواجهة رسالة المفوض العام، من خلال تنظيم الإضرابات والمظاهرات والإعتصامات. ولكن دائماً كان هناك محاولات لتهميش التمثيل السياسي للشعب الفلسطيني، وقد كان هناك محاولات لأن تكون المؤسسات الأهلية الإجتماعية هي التمثيل السياسي للاجئين، واستطاعت المرأة أن تدرك هذا فساهمت في مواجهته، ومازالت تسير بخطى ولو بطيئة ولكنها تمتلك أهمية كبرى وسط كل هذه الظروف، وخصوصاً بأنها تسير ممسكة بسياسة واضحة. التمسك بالأونروا، والتمسك بحق العودة، ورفض أوسلو، والعمل في صلب المجتمع الفلسطيني، والإقتراب من ظروف، ومعاناة الشعب الفلسطيني في لبنان.

وبعد هذه الرحلة النضالية الطويلة، سؤال مشروع يَطرح نفسه الآن:

ما مصير هؤلاء النساء، الواقفات «طوابير» على أبواب المؤسسات الفلسطينية - التي قدمت لها تلك النساء أزواجهن، وأبناءهن وأنفسهن - يطلبن كفاف يومهن وأولادهن؟؟؟!!!

(*) كتبت بناءً على دراسة ميدانية في لبنان.

الصرب يفتحون النار في كوسوفو
والبلقان مهددة بالإشتعال

أ. جابر



لم يكد العالم يلتقط أنفاسه، بعدما لاحت بوادر حل للأزمة المتفجرة في البوسنة حتى عاد القلق والتوتر ليخيم من جديد، اثر اشتعال برميل بارود جديد، ربما كان أكثر خطورة في الإقليم الصربي الصغير في كوسوفو.

هذه المنطقة التي تبدو أشبه بالخط الأحمر بامتياز، فهي مسكونة بأغلبية ألبانية مسلمة، وفي نفس الوقت الموطن الروحي للصرب الأرثوذكس، وتقع على حافة صراعات لانهاية لها.

ويرى بعض المعلقين أن المعارك التي اندلعت في كوسوفو، لم تكن مفاجئة، وإنما المفاجئ هو تأخرها، ولعل هذا صحيح في الكثير من جوانبه حيث المعروف أن هذه المنطقة تعرضت لظلم تاريخي عبر ضمها إلى صربيا، وفصل سكانها الألبان عن وطنهم الأم من جهة، ومن ثم إلغاء الإمتيازات الخاصة للحكم الذاتي التي منحها لهم الحكم الشيوعي اثر انهيار هذا الأخير.

السلطات الصربية استغلت التحرك الألباني في الإقليم لتضرب بيد من حديد محاولة استعادة ما تبقى من الهيبة القومية، بعد الفشل المحقق في البوسنة. ونتيجة لمقدمات هذا الإنفجار والوضع المتوتر في صربيا عموماً، والخلفية الدموية التي يتمتع بها سلوبودان ميلوسيفتش، الرئيس الصربي، كان متوقعاً أن يلجأ الصرب إلى القمع الدموي لتصفية التمرد في كوسوفو.

ولم يكن الصرب ليخرجوا عن تقاليد مدرستهم التي رسخوها في البوسنة، فكان التدمير المنهجي للمنطقة، والتهجير، والتطهير العرقي، والقتل والإعتقال هي المفردات الرئيسية في تحركهم.

والعالم الذي فوجئ (وربما لا) بهذا الإنفجار يبدو أنه سينتظر طويلاً حتى يتدخل، فهناك الكثير من العقبات، لعل أهمها الموقف الروسي الذي يحذر من أي تدخل مباشر في الإقليم، وربما تكون الفرصة مناسبة لروسيا عبر وقوفها إلى جانب حليفها السياسي والديني، أن ترد الصفعة لواشنطن اثر رفض الأخيرة تعيين نائب روسي لبتلر في العراق.

وفي مواجهة الموقف الروسي اعاد الأمريكان فرض العقوبات على صربيا بل وأطلق مبعوثهم الخاص إلى البلقان، تحذيراً حول احتمال تدخل واشنطن عسكرياً إذا لزم الأمر.

ويتجه حلف شمال الأطلسي والمجموعة الأوربية لاتخاذ موقف مشابه، في محاولة للملمة الوضع، الذي يهدد بانفجار ليس له مثيل في منطقة شهدت بداية حربين عالميتين وعدداً من الحروب المحلية.

والصراع المندلع في كوسوفو هوأكثر خطورة من الصراع في البوسنة، نظراً للاطراف التي من الممكن أن تنضم للمعركة.

فالبانيا، لايتوقع أن تقف مكتوفة اليدين، وكذلك من المحتمل أن تنتقل عدوى كوسوفو إلى مقدونيا ليتحرك الألبان هناك وهم يشكلون ربع السكان، مما يستفز اليونان للتدخل، وهذا طبعاً لن يرضي تركيا التي أعلنت ذلك بصراحة على لسان رئيس وزرائها. هذه الصورة لاشك حاضرة في الدوائر الدولية، والسؤال المطروح: هل سيستمر التجاذب الدولي وبالتالي سيبقى العالم واقفاً على قدم واحدة بانتظار التحرك أم ستنجح الدبلوماسية أو القوة الدولية في نزع فتيل الإنفجار مؤقتاً طبعاً؟ هذا ماستحسمه الأيام القادمة ■■

قضايا ثقافية

مؤتمر القاهرة للإبداع الروائي:

تفعيل روائي... وثقافي!

نرجو ألا يكون، مؤتمر القاهرة الأول للإبداع الروائي العربي، مجرد سحابة صيف عابرة، أو طفرة عارضة، أو نبتة هشة زُرعت خارج أوانها، ونرجو ألا يكون مثل باقي الظواهر الثقافية العربية، التي تبدأ بكثير من الحماس والزخم راسمةً لنفسها ـ على الورق ـ خططاً، وتصوّرات طموحة، لكن ما أن تبدأ مشوراها العملي، حتى يدبُّ الخلاف بين أطرافها وتتراخى مفاصلها، وتتبلّد خطواتها، إلى أن تذوي شيئاً فشيئاً لافظةً أنفاسها وذلك قبل أن يقوى عودها، وتكتمل ملامحها، وتنضج هويتها.

بدون شك، انعقاد هذا المؤتمر، وفي القاهرة بالذات لدراسة الرواية كجنس أدبي، هو ظاهرة متقدمة ستنعكس إيجاباً ليس فقط على تفعيل الرواية العربية ودورها، وإنما على تفعيل الثقافة العربية، التي تبحث ـ أكثر من أي وقتٍ مضى ـ وعبر وسائل التعبير والإبداع المختلفة عن خصوصيتها وهويتها. وإذا كان المؤتمر قد اثار الكثير من الإشكاليات الهامة كعلاقة الرواية بالمجتمع، والرواية والعمل السياسي، والرواية والسيرة الذاتية والرواية والصحراء، وإنجازات الرواية النسائية، والرواية والمرأة... بالإضافة إلى سماع شهادات عدد كبير من الروائيين الذين سلّطوا بعض الضوء على تجاربهم الكتابية... فإن كل هذا سيشكّل بالتأكيد تراكماً إيجابياً مثمراً إذا أُحسن استخدامه... فوز صاحب الخماسية عبد الرحمن منيف بجائزة المؤتمر للإبداع الروائي، ترك صدىً حسناً في الأوساط الثقافيةالعربية التي تلقت النبأ بارتياح ملحوظ، وذلك بسبب الدلالات الإيجابية العديدة التي يشي بها هذا الفوز لجهة القيمة الفكرية والفنية.

من جهتنا نحاول الإحتفاء بهذه المناسبة، وذلك بتسليط الضوء على تجربة هذا الكاتب العربي الكبير عبر هذا الملف الثقافي الذي توسعنا في عدد صفحاته، فكان لنا مقابلة مطوّلة مع الكاتب حاولنا من خلالها الإلمام ـ قدر الإمكان ـ في معظم جوانب ومناخات تجربته الإبداعية التي تشكلت روايته من خلالها وعبرها.

يحتوي الملف أيضاً دراسة تتناول أدب منيف للدكتور فيصل درّاج الذي كان أحد أعضاء لجنة التحكيم في المؤتمر، وشهادة من القاص ابراهيم صموئيل في أدب منيف.

ابتغينا من هذا الملف، التكريم لصاحب الملف، والفائدة لنا جميعاً، فهل نجحنا؟!

حسبنا، أننا حاولنا!

الهدف الثقافي

عبد الرحمن منيف وكتابه "السيرة الأخرى"

فيصل دراج

جاء في البيان الختامي للجنة التحكيم الخاصة بـ «جائزة القاهرة للإبداع الروائي العربي» وهي تكرّم عبد الرحمن منيف: «كأنه يكتب عن كل بلد عربي على حدة، ويكتب عن الأقطار العربية كلها في آن». وللجملة دلالات معينة في أكثر من اتجاه. فلقد عاش عبد الرحمن في بلدان عربية مختلفة، واختلف على عواصم متنوعة، فولد في السعودية وعرفها صبياً ويافعاً، وقضى ردحاً من عمره في الأردن فالتقط منه ما سجّله في «سيرة مدينة» وشاهد بغداد عن كثب وتجوّل في دمشق سنوات، وتعرّف على بيروت وعمل فيها، وتابع تحصيله الجامعي في القاهرة، حين كانت أمل الأمة العربية ومنارة أحلامها...

ولم تكن العواصم العربية هذه مساحة للتجوال، ولا موقعاً جغرافياً يوزّع عليه الروائي أشطاراً من شبابه وكهولته، بل كانت مواقع نضالية، حين كانت الآمال العربية تهجس بشعارات لها كثافة ورنين، مثل الوحدة العربية والإشتراكية والحرية، وذلك الحلم المشتعل باستقلال ذاتي لانقصان فيه وبتحرر إنسان لامزيد عليه. في ذلك الزمان تحرّر الشاب السعودي من ربقة الأمكنةالقطرية واتّخذ لنفسه جلداً عربياً خالصاً، يشتق ألوانه من الثقافة العربية، ويرى في الإنتماء العربي انتماء مكتفياً بذاته ولايحتاج إلى ماعداه.

غير أن «الحزيران الأكبر» ما لبث أن فرد اجنحته السوداء على الأزمنة العربية، فتناتج طليقاً واستولد الهزيمة من الهزيمة، ورمى بأحلام الشباب إلى أركان مجهولة... عندها تراجع الشاب السعودي إلى الوراء قليلاً، وتأمل الزمن الذي أخلف وعده وجواز سفره المفقود والعمل الكفاحي الذي أضحى مهنة بين المهن، أو مهنة على المهن... تأمل كل هذا وأدرك أن جهده الكفاحي يقوم في مكان آخر، أكثر وضوحاً ونظافة وفاعلية... والمكان الجديد الذي رحل إليه الشاب السعودي أسئلته هو: حقل الرواية، الذي يقول فيه المناضل الأشياء التي أراد أن يقولها في السياسة ولم يستطع، أو هو الحقل الذي يكتب فيه المناضل عن الأسباب التي قادته من «السياسة العارضة» إلى «السياسة الجوهرية».

لم يبحث عبد الرحمن طويلاً عن الموضوع الذي يبني عليه روايته، فموضوعه قائم في تجربته وموضوعه قائم أولاً في أحلامه التي دفعته إلى السياسة العارضة ثم ابعدته عنها... ولم تكن تلك الأحلام، التي لاتشيخ حتى إن شاخ صاحبها، إلا الحياة الإنسانية التي تليق بالإنسان وتعبّر عن جوهره، بدءاً بمدينة لايطؤها العسس وبطفل يحمل رغيفاً ويذهب إلى المدرسة، وصولاً إلى إنسان يعيش سيادته داخل أمة عربية حققت سيادتها.

وكان طبيعياً أن يطلع علينا عبد الرحمن، بعد أن وضع السياسة العارضة جانباً، برواية تحدّث عن الرغيف المراوغ ونكد الدنيا وأحكام الجلاد القاسية. وكان عنوان الرواية: «الأشجار واغتيال مرزوق» التي أحسن فيها الروائي الواعد تقديم الواقع العربي، وأحسنت تقديمه كروائي لايعرف المساومة. ومع أن الكاتب طارد أطيافاً حارقة من أطياف الشباب في «قصة حب مجوسية» فإن حضوره الشديد جاء مع روايته: «شرق المتوسط» التي ينتقل فيها القارئ إلى قفص كتيم، وهو يسرّد له طقوس السجن العاتية في سجن ما قائم في أرض عربية معينة، وقائم، في اللحظة عينها، في البلدان العربية جميعها.

ومع أن الروائي، الذي فقد جنسيته السعودية منذ زمن، لم يكن مولعاً بالتبشير وبالصباحات الجميلة القادمة من الغيوم، فقد كان في روايته حرارة افتقدتها الرواية العربية المألوفة. بل أنه لم يستطع أن يسحب معه القارئ إلى أتون الحياة اليومية في العالم العربي. إلا لأنه بعيد البعد كله عن لغة التبشير وعطارة تخليق الأحلام الكاذبة وترويجها. وكانت روايته، في غضبها الشديد، تنقل القارئ العربي من مقولة «التعويض» إلى مقولة «الإحتجاج». وبين المقولتين فرق واختلاف، فالمقولة الأولى، وهي طيف من أطياف الإيديولجيا الدينية التقليدية، توهم القارئ بالإنتصار وهو قابع في فراشه، لأن البطل الذي يقتفي مساره منتصر في الرواية، حتى لو كانت الحياة تردّه من فشل إلى آخر. أما المقولة الثانية فتقدم الحياة عارية في قسوتها، وقاسية في عريها، من دون زيادة أو نقصان، كما لو كانت الرواية تكثف في قولها جور الحياة كله، كي ترغم الإنسان أن يفكر في فقره الكثيف، وأن يستولد من جلده العادي اظفاراً جارحة.

ولأن عبد الرحمن يكتب تجربة عاشها ويعيش تجارب الآخرين في الكتابة وخارجها، فقد كان عليه أن يجعل من الـ «هنا» مكاناً لروايته، ومن «الآن» زمناً لها، كأن الحاضر، في أسئلته الفعلية التي لاتنتهي وفي إجاباته المتلعثمة أبداً، هو مرجع الرواية وملاذها الوحيد، وهو الزمن الوحيد الجدير بأن يكون زمناً روائياً. وبسبب ذلك، جعل عبد الرحمن من الرواية مجالاً لكتابةالتاريخ العربي الراهن، إن لم يجعل من التاريخ رواية متميّزة، تسرد أسباب الإخفاق في زمنها وفي كل زمن شبيه، وترسم صورة الجلاّد في حاضرها وفي كل ماض نظير، وتصف أحوال الضحية في لحظتها وفي كل زمن يحوّل الكيان الآدمي إلى أشلاء مبعثرة. لقد رسمت رواية عبد الرحمن منيف التاريخ اليومي العربي المعاش بعد أن

مزّقت أغلفته الزمنية الضيقة وجعلت منه تاريخاً نوعياً مقيداً وتاريخاً انسانياً طليقاً في آن.

وفي جدل التاريخ والرواية، وهو جوهر الرواية تعريفاً، كتب منيف «حين تركنا الجسر»، محاوراً هزيمة حزيران، وكتب «سباق المسافات الطويلة»، وهو يتحدث عن النفط وعن ذلك الذهب الأسود الذي أفقد العرب ووطدّ دعائم الذين يتحكّمون بالعرب ويفرضون عليهم المذلة والخضوع. وكتب ملحمته «مدن الملح» التي ترسم تاريخ النفط كتاريخ للإستعمار الأوربي للعالم العربي. في كل هذا كانت رواية عبد الرحمن تتنفس برئة التاريخ وكان التاريخ العربي يتنفس برئة الرواية، بعد أن تم اعتقال كتابة التاريخ في زنازين متعددة اللهجات. وفي كل هذا أيضاً كان عبد الرحمن يكتب عن سيرة المضطهدين التي التهمها النسيان، بعد أن اكتفت الكتابة السلطوية بتاريخ أصحاب الشأن والنفوذ والسلطة، وفي كل هذا كان عبد الرحمن يكتب رواية عن «العوام» ويرسلها إلى «العوام» أيضاً. ويبعث معها وجوهاً من الحقيقة، بعد أن أدمنت المدارس الرسمية على وأد الحقيقة وتخبيل «العوام» وذلك في أنظمة تذهب فيها الجموع وقوداً للسادة ويفنى فيها السادة حباً بمصالحهم الضيّقة.

ولأن عبد الرحمن يكتب سيرة الذين لاتتعامل الكتابة الرسمية معهم فقد تحوّل إلى ظاهرة روائية يذهب إليه القارئ العربي ما استطاع، فإن منعه عنه شيء كان ذلك ثمن الكتاب في عالم عربي يتحوّل الرغيف فيه إلى شيء قريب من الكماليات. وساعد على ذلك «اللغة الوسطى» التي يكتب بها، والتي هي بعيدة عن الإنشاء التقليدي وبعيدة، في الوقت ذاته، عن الحذلقة والزخرف. بل يكاد عبد الرحمن أن يكتب لغة مقتصدة ومتقشفة توافق الأشياء التي تكتب عنها، من دون زيادة أو نقصان. لغة تحتج على البلاغة الكاذبة التي تدفن الأشياء الجوهرية تحت ركام القول الذي يتحدّث عنها. وفي هذا كله كان الروائي يقترب شيئاً فشيئاً من المثقف الذي هو «ضمير الأمة»، أو من الكاتب الصادق، الذي يحدّث عن الجموع وتذهب إليه الجموع سعيدة.

في «مدن الملح» يعطي عبد الرحمن سلسلة لامتناهية من اسماء البشر الذين يمرون سريعاً. يمرون كاسم فقط، أو يتحدثون جملة وحيدة ويمضون، أو يكتفون بإلقاء التحية. إن هذا الحشد الكبير من الأسماء، الذي يبدأ كإسم ولايتحوّل إلى شخصية روائية مكتملة الملامح يشكل إشارة إلى «السيرة الأخرى» لبشر يعيشون في الظلال ولايلتفت إليهم أحد، علماً أن هؤلاء هم الذين يصوغون أفعال الإحتجاج الكبرى، أو هم الذين يصوغون التاريخ في صمت، فإن لم ينجحوا في صياغته، سعوا إلى ذلك على الأقل، حتى لو ضحوا بحياتهم. وبسبب هذا خلق عبد الرحمن صورة أخرى للمكان الخليجي، فلم يعد كما كان يبدو، مرتعاً للامراء وأكواماً من الرمال ومصدراً هائلاً للنفط، بل مكاناً بشرياً حاشداً بالقيم والإحتجاج والمعاناة والمقاومة. كما لوكان عبد الرحمن، في عمله الملحمي، يؤنسن الصحراء الشاسعة فتبدو أليفة وجميلة وصديقة للمطر، أو كما لو كان يعيد الإعتبار إلى الإنسان والمكان والزمان. فكما أعاد عبد الرحمن صياغة منطقة عربية وأعطاها صفة «شرق المتوسط» فإنه أعاد خلق مساحات الخليج العربي في صيغة «مدن الملح» موحّداً بين عربي وآخر ومساوياً بين مكان وآخر. وكان في الحالين يرصد الإنسان من خلال القيم وركام المعاناة وقدرته الخلاقة على الفعل والحركة والإستمرار في الحياة.

حين صدرت «مدن الملح» قال ناقد لاينقصه من «الإستغراب» شيء: «إن كتابة عبد الرحمن لاتزال تعيش في زمن قبل - بلزاك». وبالتأكيد فإن الناقد المذكور سعيد بإسم بلزاك لا بإسم عبد الرحمن، لأنه أدمن أن يرى في الغرب مرجعاً، يستعير منه ما أنتج من متاع - وأسماء ومعايير نقدية. وواقع الأمر أن البنية الفنية في أعمال عبد الرحمن لاتردّ إلى قبل - بلزاك ولا إلى بعده، لأنها ترتبط، وببساطة، بزمن تاريخي اجتماعي آخر، وبتاريخ ثقافي مختلف، وبقارئ لم تتح له الحياة أن يقرأ «الكوميديا الإنسانية». وواقع الأمر ايضاً أن الناقد الذي أدمن الترجمة الفاسدة غير قادر على التقاط الوعي التاريخي الذي صاغ «مدن الملح». فهذا الوعي الحديث، وكل وعي تاريخي هو وعي حديث، عبّر عن ذاته في الرؤية الشاملة التي تحمل الرواية والتي تقرأ التاريخ الحديث كصراع بن زمن التقنية والتكنيك وزمن الإرادة الإنسانية لدى الشعوب التي لم تظفر بالتقنية والتكنيك. ولذلك فإن «متعب الهذال» لا يشكل حنيناً إلى الماضي أو دعوة ماضوية تنكر الحاضر بل يمثل عالم القيم والأخلاق والإرادة، أي كل ما تبقى لـ «الإنسان المضطهد» كي يقاوم من امتلك الآلة والتقنية.

إن «متعب الهذال» ليس جواباً أبداً، بل هو سؤال مأساوي طليق، وهو ما يجعله معلّقاً في الأفق، يرى ولايرى، إنه شيء من الحكاية وشيء من التاريخ، يختفي إن إكتفت به الحكاية، ويعود - ربما - إن احتضنه التاريخ. إن شخصية عبد الرحمن الفنية هذه لاتختلف في شيء عن «الطفل الفقير الواقف في العراء» الذي حدّث عنه الكاتب ادوارد غاليانو، الذي يستنهض الإرادة والقيم والعزيمة بعد ان أكل «العم سام» الأخضر واليابس.

وإلى جانب المنظور التاريخي للعالم، فإن عبد الرحمن رفع مقولة «جمالية الجموع» إلى حدها الأعلى، لابمعنى كتابة سيرة المنسيين فقط، بل بمعنى العثور على الصيغة الجمالية التي تتحقق فيها هذه السيرة. وقد تكون «مدن الملح» ربما، هي الروايةالعربية الأولى التي تستند على «المتواليات الحكائية» التي تطلق نصاً فنياً مفتوحاً لامركز له ولانهاية. وبالتأكيد فإن هذه «المتواليات» لاعلاقة لها بالتقنية الفنية المجردة، التي أقبل عليها البعض بعد أن اكتشفت «البنيوية» جماليات ألف ليلة وليلة، ذلك أنها تصدر كضرورة فنية يمليها المنظور الذي يأخذ به عبد الرحمن وهو يتحدّث عن «بطل جماعي» قوامه الجموع الهامشية الأسماء.

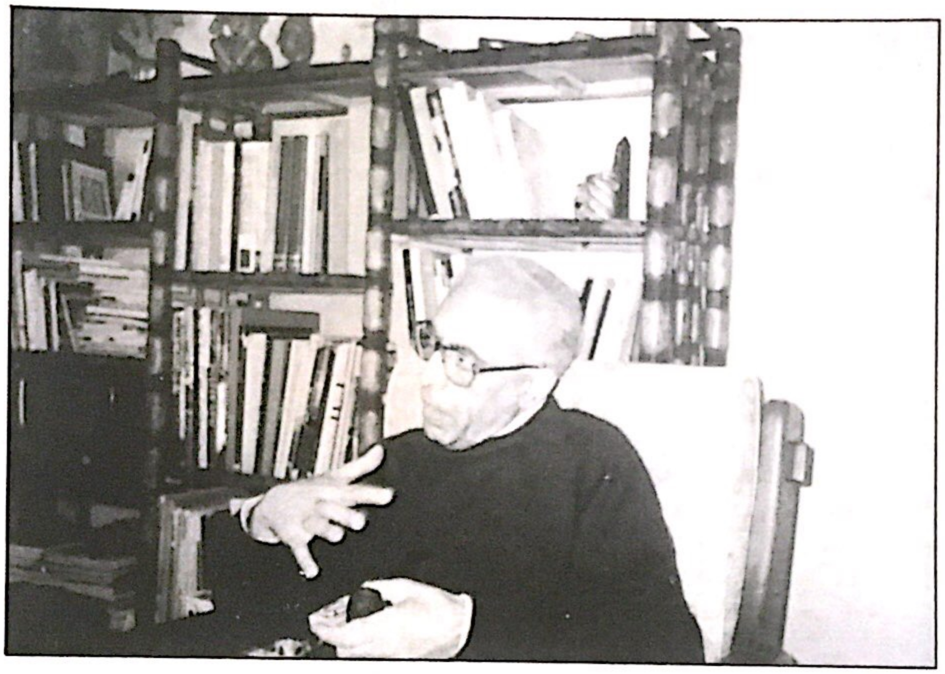
ومع أن القارئ الغربي الذي قرأ أعمال عبد الرحمن يجد فيها ما يمتعه، سواء قرأها بشكل صحيح، أو أعاد صياغتها قبل القراءة، فإن أعمال عبد الرحمن تطرح السؤال التالي: ما الذي يحوّل كاتباً روائياً إلى ظاهرة اجتماعية في زمن تنحسر فيه القراءة وتتضاءل؟ والعثور على الجواب، هنا، لايستوي بتأكيد فنية العمل الروائي وتقنيته فقط، بل يفرض أمراً آخر أكثر أهمية وأشد خطراً، هو: المصداقية الفنية بمعنى مزدوج : مصداقية الروائي وهو يشتق أشكاله الفنية من إشكالية الكتابة والقراءة في المجتمع الذي ينتمي إليه. ومصداقية الروائي وهو يتحدث عن قضايا البشر الحقيقية، بعيداً عن التوهّم والتغريب واختراع عوالم لاوجود لها.

في روايته الثانية عن «شرق المتوسط» يضع عبد الرحمن في العنوان: «الهنا» و «الآن» أي يؤكد الراهن الذي لارواية من دونه. وراهن الرواية هوالتاريخ، أي جملة الأزمنة كما تنعقد في الحاضر وتصوغه. أزمنة متفرقة تردّ إلى الماضي وتنفتح على المستقبل وتتكثف في الحاضر. ولأنها جملة معقدة من الأزمنة المتباينة، فإن الرواية تسأل ولاتجيب، أو تستنهض القارئ على السؤال كي يشارك مع غيره في الوصول إلى إجابة محتملة. وهذا ما ترومه رواية عبد الرحمن منيف وتسعى إليه ■■

الروائي العربي الكبير عبد الرحمن منيف لـ"الهدف":

علينا الانتقال من الحضارة الشفوية إلى الحضارة المكتوبة والتوثيق

أجرى الحوار: ماهر الطاهر - علي الكردي



في الطريق إلى ضاحية «المزة» بدمشق، تُهنا قليلاً، قبل الوصول إلى بيت الروائي العربي عبد الرحمن منيف، لكن، لحسن الحظ وصلنا في الوقت المحدّد، فكان بانتظارنا، متأهباً للقاء بكامل لياقته. استقبلنا بحميميته الصادقة، المعهودة، ومن المدخل، قادنا إلى صالة فسيحة نسبياً، ينمُ أثاثها عن ذوقٍ رهيف، وأول مالفت انتباهنا، تلك اللوحات التشكيلية المتوزعة على الجدران، وبعض المنحوتات الصغيرة المركونة هنا، وهناك بشكلٍ مدروس، ينمُّ عن نظرةٍ جمالية لعلاقة الأشياء ببعضها...

أشعل منيف غليونه، وبدون تكلّف، بدأت دردشة ما قبل الحوار، لكن، شيئاً فشيئاً، راح الحديث يسخن، ويتجه نحو مسارب عديدة هامة، وكاد يسرقنا من حوارنا الأساس، لذلك ضغطنا مفتاح المسجلة، كي لا يتسرب شيء من حرارة الحوار، فكان هذا اللقاء.

جسور بين وسائل التعبير

□ نود بدايةً، أن نفتتح الحوار، ببعض الوجدانيات، هل لك أن تصف لنا حالتكَ الداخلية، لحظة تلقيكَ نبأ فوزكَ بجائزة القاهرة للإبداع الروائي العربي، سيما وأن هذه الجائزة تأتي على هامش المؤتمر الأول للرواية العربية، هذا المؤتمر، الذي أعاد - كما قلت في أحد تصريحاتك - الاعتبار للرواية العربية؟

■■بدايةً، المؤتمر لم يكن ردّ اعتبار، وإنما اعتراف بالرواية كجنس أدبي يمكن أن يكون أكثر قدرةً في المرحلة الحالية، على مخاطبة الناس، والتعامل مع مشاكلهم الأساسية.

في الماضي، كانت تصدر روايات هنا أو هناك، وكان يوجد روائيون متفرغون جزئياً للرواية كهم، أما من خلال المؤتمر، فقد تبلور، أن هذا الجنس يجب أن يحظى باهتمام أوسع، ويجب أن يكون له دور متميّز، خاصة وأن الرواية هي من أكثر وسائل التعبير في التعامل مع المشاكل الكبرى، والتناقضات العميقة.

□يعني.. كما قيل الرواية ديوان العرب الحديث؟

■■ولكن.. ديوان العرب الحديث بالتنسيق، والتكامل مع وسائل التعبير الأخرى. من الجائز أن تكون في مرحلة معينة أداة ما أكثر قدرة على التعبير، أو أكثر تلبيةً، ولكن هذا لا يلغي الأدوات الأخرى. من هنا يجب الحرص دائماً على بناء جسور، وخلق علاقات بين وسائل التعبير المختلفة. الرواية كجنس أدبي، قادرة على الاستفادة من كل الانجازات التي تحققت

في حقول ثانية، مثلاً، من خلال انفتاح الرواية على المسرح، على السينما، وعلى الفن التشكيلي.. وعلى القصة القصيرة، بمعنى أنها أداة تستوعب، وتستطيع أن توظف الكثير من الصيغ التي تمّ انجازها في مراحل ثانية. لذلك أتصوّر أن المؤتمر في هذا الجانب، كرّس تقليداً، أو بداية تقليد يمكن أن يفتح أفقاً، واعتبر الرواية هي الأداة الأكثر قدرةً في المرحلة الحالية على التعاون، وفي نفس الوقت، عندما يلتقي هذا الكم الكبير من الروائيين، بالتجارب والأساليب، والأماكن... كل هذا يساعد على انضاج الرواية، ويخلق مناخاً روائياً، فنحن بحاجةٍ لأن تنمو الرواية من خلال مثل هذه المناخات.

نحن بحاجة إلى تواصل، وتبادل تجارب، وأيضاً اكتشاف احتمالات للتعامل الروائي. أتصور أن من جملة الأشياء التي تحققت في هذا المؤتمر، طرح قضايا كبيرة مثلاً: علاقة الرواية بالمجتمع، الرواية والعمل السياسي، الرواية والسيرة الذاتية، الرواية والصحراء، انجازات الرواية النسائية (إذا صحّ التعبير) وكلها موضوعات، لها حضور، وأهمية وبالتالي عندما يكون لها إطار، فهذا يشكّل احتمالاً لتقدم أكبر في المستقبل. أما مشاعري الشخصية.. ما من شك.. عندما تتكرّس الرواية بهذا الشكل.. وبهذا الاهتمام، وأيضاً مع هذا العدد الكبير، يشعر الانسان بنوع من التفاؤل، ويحس أن جهده لم يذهب عبثاً.

الثقافي والسياسي

□في عودة إلى البدايات.. تحدثت كثيراً، سواء من خلال نصك الروائي، أو من خارجه في (الحوارات والكتابات الصحفية) عن الخديعة، والمرارة، والندم من تجربة العمل السياسي، والعلاقة مع المؤسسة السياسية، مما دفعك إلى القطيعة مع هذه المؤسسة، والبحث عن أداةٍ أخرى للتعبير والتغيير فكانت الرواية كتعبير فني عن هذا الطموح. الآن بعد مرور هذا الزمن، وبعد أن حققت ما حققت روائياً، هل ترسّخت لديك تلك القناعة أكثر أم ثمة انزياحات، أو إضافات أو وجوه أخرى للمسألة، برأيك؟

■■بهذه المناسبة، أحب أن تطرح القضية بمجملها، بمعنى أن جيلنا الذي فتّح عيونه على أول هزيمة للعرب في مواجهة اسرائيل بدءاً من ١٩٤٨، ثم مجموعة الهزائم التي تبعت هذه الهزيمة.. أعطت نوعاً من المؤشرات على أن الصيغة السياسية الموجودة، هي دون المستوى ولا يمكن أن تواجه هذا التحدّي، وطبيعي، كلنا انخرطنا بشكلٍ أو بآخر بالعمل السياسي، لكن دائماً الواحد، يبحث عن مركز الثقل في موقعه، وإمكانياته. أين يمكن أن يؤثر مثلاً أكثر، وأين يمكن أن يساعد في انضاج حالة قد تساعد على التغيير لاحقاً.

من سوء الحظ، أو ربما من حسن الحظ، أنني وُجدت ضمن صيغة سياسية، ورغم الكثير من التفاعل، ومحاولة الانصراف والتفرّغ لكل متطلباتها، لكن تبيّن، أن هذا لا يكفي. ومن هنا صار البحث سواء كان من خلال الاجتهاد السياسي، أو من خلال التطلّع نحو وسائل تعبير أخرى تعوّض عن هذا النقص الموجود، لذلك، لازلت حتى اللحظة مهتماً بالشأن العام، ويمكن أن تعتبرني إلى حدٍ كبير سياسياً، لكن، أيضاً، وسيلتي للتعبير، أو التعامل، هي من خلال صيغة اعتبرها قادرة على التوصيل أكثر، وقادرة على طرح المشاكل بجرأة أكبر، هذا لا يعني أنني أدين العمل السياسي، أو أنني اعتبره لاغياً، وبالتالي اعتبر الرواية بديلاً. إذ لا يمكن للرواية أن تكون بديلاً عن أي شيءٍ آخر. مهمة الرواية الأساسية أن تزيد بالوعي العام، وأن تخلق حساسية إضافية لإدراك المشاكل والهموم، وبالتالي المساهمة في عملية التغيير المطلوبة، لكن في النتيجة من يغيّر، هم الناس الأكثر وعياً، والأكثر حساسية، ومن هذا الجانب، لايزال عندي ملاحظات أساسية على العمل السياسي الموجود، ولكن بهدف تحسينه، وبهدف إحداث تغييرات جوهرية فيه، حتى يكون موازياً، أو ملائماً للمرحلة، ولإحداث التغيير المطلوب.

وفي هذه المناسبة أحب التأكيد على شيء وهو: أن صيغة العلاقة التي كانت قائمة في السابق بين السياسي والثقافي، كانت صيغة مشوبة بأغراض وعيوب، مما أدّى إلى أن يستخدم السياسي، الثقافي ضمن منطق العمل اليومي، وضمن شراكة غير متكافئة، بمعنى أن الثقافي، كان دائماً في خدمة العمل الآني، في ثقله وهمومه الصغيرة، دون أن يكون فكراً نقدياً، أو فكراً مشاركاً، أو فكراً يمكن أيضاً أن يعدّل ويوازن معادلة جديدة مطلوبة من المفروض أن توجد.

وهم المثقف

في مراحل معينة، بعد الخيبات التي حدثت، صار لدى المثقف نوع من الوهم بأنه يمكن أن يكون بديلاً للسياسي. هذه المسألة يجب أن ننتبه لها بصورة جيدة، حتى لا نقع في خيبات أكبر، لأن العمل السياسي يظل أساسياً ومطلوباً، وهو الأداة الأساسية في التغيير، ولكن أيضاً من خلال مراقبة، ومن خلال نظرة نقدية... من خلال صيغة جديدة لمعادلة، يمكن إذا توفرت أن تعطي للعملين معاً نوعاً من التكامل، ونوعاً من التأثير المطلوب.

لذلك، المشكلة الأساسية، أنه حصل في الماضي خديعة، أو على الأقل كان يوجد فارق كبير بين الرغبة والإمكانية.. بين التكامل بالأدوات... الآن، كيف يمكن أن نصل إلى معادلة صحيحة. هذا تحدٍّ كبير، وسؤال مهم.. وبهذه المناسبة يجب فتح حوار موسّع من أجل أن نقرأ المرحلة الماضية بكل أخطائها، ونواقصها تمهيداً للوصول إلى صيغة جديدة، ويمكن أن يكون أفضل للعمل السياسي، أن يظل هامش الحرية أوسع للمبدع، وأن يكون عنده نظرة، ليس بالضرورة أن تتطابق، أو تكون ملازمة تماماً للعمل السياسي اليومي، بل يمكن أن تختلف جزئياً، ويمكن أن تختلف لفترة من الزمن، لكن بهدف التصحيح والتكامل في النتيجة الأخيرة. فإذا استطاع السياسي أن يستوعب الثقافي، بمعنى أن يستوعب دوره وضرورته، يمكن أن نصل إلى حلٍ أفضل.

الرواية وسيلة مواجهة

□قلت بكلمتك في مؤتمر الرواية في القاهرة أن هزيمة الـ٦٧ جعلتني أتوجّه إلى الرواية، ليس كوسيلة للهروب، وإنما وسيلة للمواجهة. هل ترى حقيقة أن المواجهة من خلال الرواية هي أكثر جدوى من المواجهة عبر العمل السياسي المباشر؟

■■بالنسبة لي - على الأقل - نعم. لكن بالنسبة للآخرين فانا لا أدعو أن يصير كل الناس روائيين، ولا بالإمكان حتى لو أردت. ثمة نقطة مركزية يجب الانتباه لها، إذ يجب أن نخلق وعياً واسعاً بالهموم والمشاكل التي تحاول أن تضغط علينا وتعيق حركتنا.

هذا الوعي يمكن أن يتولّد من خلال الرواية، السينما، ومن خلال وسائل التعبير الأخرى.. وذلك بإثارة حوار واسع، وبإثارة نوع من المناقشة الجريئة المفتوحة، حتى نحدّد الأسئلة الأساسية، فإذا حدّدنا الأسئلة الأساسية سيجد

كل إنسان موقعه في هذه المعركة لأنها معركة كبيرة وواسعة، وممتدة لفترة زمنية طويلة، ويمكن إذا أردنا إجراء مقارنة لنرى ماذا فعل الآخرون. الآخرون كان قدرهم وقلقهم واهتمامهم في انجاز العمل السياسي، لكن أيضاً وُجدت هوامش واسعة لكل الوسائل الأخرى، فنرى أنه كان هناك اهتمام بعلم الاجتماع، وقراءات اقتصادية معمقة لكل الوضع، وكان هناك محاولة لتوظيف الأدب والاستعانة بالفكر، وحتى بالأغنية، المهم أن نخلق الوعي، أنا عندما اخترت طريقاً مختلفة عن الطريق الذي سلكته قبل الـ١٩٦٧، وجدت أن مكاني وقدرتي في أن أستخدم الرواية كوسيلة، أو كخطاب للتوصيل، ولمحاولة خلق لحظة الصدمة. إذ أننا أمام عالم عربي بهذا الاتساع، وبهذه الكثافة السكانية، وبهذه الشعارات الكبيرة، وفجأةً ترى أن هذا يتداعى أمامك ويسقط سقوطاً مدوياً، فطبيعي هنا أن يبرز السؤال: لماذا؟! طبيعي لأنني من خلال ما أملك من وسائل كنت أمام خيارين. إما أن استمر في محاولاتي السياسية ضمن الصيغة التي كانت موجودة، أو ضمن تطويرها جزئياً، أو أن أختار وسيلة أخرى للتعبير، فكان خياري الرواية، ربما لأن لدي إمكانية في هذا الحقل. اخترت الرواية كصيغة من صيغ الخطاب، كصيغة لمحاولة إثارة الاهتمام وبالتالي الوعي بالمشاكل للتفكير بحلّها.



الأستاذ عبد الرحمن منيف مع د. ماهر الطاهر

عجز مزدوج

□ ألايمكن التوفيق بين عمل الروائي، وعمل السياسي بذات الوقت، إذ يلاحظ أن عدداً لا بأس به من المثقفين العرب لايحسنون التوفيق، بمعنى أنه ربما بفترة من الفترات يمكن أن يكون المثقف نشطاً بالعمل السياسي، بعد ذلك يتوجه باتجاه آخر ولايستطيع التوفيق بين العملين. هل هذا أمر يرتبط بعامل الوقت، الآن من الصعب أن تبدع في الحقلين، أم أن الثقة تهتز بمسائل العمل السياسي واللعبة السياسية، وبالتالي يميل الإنسان إلى عملٍ أكثر صفاءً. ما هو السبب؟

■■لاشك أن الصيغ السياسية الراهنة، لم تعد مقنعة لأغلبية المثقفين، وبالتالي بتقديري، العجز هو عجز مزدوج، بمعنى أن هذه الصيغ لاتمتلك رؤية واضحة، وليست مؤهلة، بصيغتها الراهنة إلى أن تكون أداة التغيير المطلوبة، وبنفس الوقت، راهن المثقف خلال فترة طويلة على كم من الأوهام، على اساس أنه، ومن خلال اندماجه بلعبة سياسية، وإعطاء هذا الهم الأولوية الأولى المطلقة، وفيما بعد النتيجة التي حصلت أدّت إلى شعور بالفجيعة، شعور بخيبة الأمل، وحدث هذا الإفتراق، أو المسافة بين ما يسمى بالسياسي والثقافي. حتي الآن، معظم جيلنا ومعظم الناس في الشارع مهتمون بالسياسة بمعنى ما، ويساهمون جزئياً ـ إذا لم يكن في اللعبة السياسية ففي الحالة السياسية ـ لكن محصلة الجهود تبقى ضئيلة، لأنه لايوجد إطار متكامل، والمشكلة أننا بعد كل هزيمة نكتشف أننا لازلنا في نقطة الصفر.

أنا مثلاً، يمكن أن أكون روائياً ولي تأثير في الوسط الذي أشتغل فيه، بينما لو انتقلت إلى مكانٍ آخر، من الممكن أن تكون قدرتي على التأثير أقل. المسألة هي توزيع مسؤوليات، وإكتشاف أين يكمن مركز الثقل.

إشكالية

□لماذا لاتفترض أن قدرة التأثير يمكن أن تكون أقوى؟

■■أين؟!

□في العمل السياسي؟

■■لأنه، وعبر ثلاثين أو أربعين سنة، جرّبنا، واكتشفنا أن هناك نواقص كبرى في العمل السياسي، وهناك فجوات بين المنظمة السياسية والشارع، يوجد عدم تطابق، كذلك ليس هناك قدرة على التقاط الإيقاع الحقيقي. في هذا السياق يمكن أن أثير إشكالية تدلّل على هذا الموضوع، وهي مسألة التيار الديني. أنا اعتقد أن التيار الديني قوّي بمقدار ضعف الآخر. قوّي لأن الآخر، لم يستطع إلتقاط نبض الشارع والتعبير عنه. لذلك ترى ـ في أغلب الأحيان ـ الحركة الدينية تنمو أو تنحسر تبعاً لقدرة الآخر على ملء الفراغ. حركة الأخوان المسلمين مثلاً بدأت في مصر سنة ١٩٢٧، ومن ذاك الوقت، وحتى الان موجودة ليس لأنها حلاً للمشاكل، وإنما لأن هناك عجزاً عند الآخر، وعدم قدرة على تلبية الحاجات أو تحقيق المطالب التي يشعر بها الناس.

من هذه الزاوية فقط، حاولت أن أوضح أن المشكلة ليست بأن نشتغل جميعنا في السياسة بنفس الطريقة، وبنفس المقدار. كل واحد خُلق بكفاءات وإمكانيات إذا أُحسن استخدامها ستصب في المحصلة في النهر الكبير.

الثقافة الشعبية والإيديولجيا

□هذا يجرّنا... كما قلت في كلمتك أمام مؤتمر الرواية، أنكَ أصبحت وخاصة في الفترة الأخيرة، أقل ميلاً للأيديولوجيا، مقابل



الأستاذ عبد الرحمن منيف مع الزميل علي الكردي

الإهتمام أكثر بالثقافة الشعبية. هل بالإمكان إضاءة هذه النقطة بصورة أوضح؟

■■لا أخفي، أننا خلال فترة طويلة، كنا نحاول أن نطابق، أو نرفع الواقع حتى ينسجم مع الفكر. وكان الفكر له قوالب وصيغ معينة كنا نرى الواقع دائماً من خلالها، وبالتالي كان هناك دائماً مسافة بين الحياة الفعلية، بين الهموم والمشاكل التي تتراكم، وبين قدرة الأيديولوجيا في النظر إليها، والتعامل معها كمشاكل. كنا ميالين دائماً ـ بمعنى ما ـ أن نرى الواقع بمنظار معين. مثلاً، الطبقة العاملة، هي الطبقة التي من المفروض أن تقود، لأنها الأكثر وعياً، ولأنها المستقبل....

كنا ننظر للطبقة العاملة في بلادنا، ليس بواقعها الفعلي، الحي وإنما من خلال الفكرة، وكان هناك نوع من الجهل بواقع الطبقة العاملة، وبواقع أي طبقة أخرى، وبالتالي وُجد نوع من تغليب الفكر على الحياة وعلى الواقع الفعلي، فحدثت هذه الفجوة.

لقد اكتشفت من خلال الواقع الروائي تحديداً، أن الحياة من الغنى إلى درجة كبيرة، ونحن كنا غافلين عن هذا الشيء.

مهمتنا الآن، الذهاب إلى هذه المصادر. الذهاب إلى الينابيع الحقيقية للناس، لأفكارها، لقناعاتها، لمطالبها، لهمومها... علّنا نستطيع أن نصل إلى نوع من الإقتراب والمعرفة الحقيقية. أنا دائماً أخاف أن نحكي عن مجتمع وهمي، ناتج فقط من عقولنا، ودون معرفة بهذا المجتمع. هذه إحدى الإشكالات التي أدّت إلى إنحسار الكثير من الحركات العقائدية. وإلى تراجع أفكارها وشعاراتها، حتى أنها في بعض الأحيان تضطرب، وتقع في المأزق، أو أنها في اللحظات الحرجة تتوه في اتخاذ المواقف. لأنها لاتعرف الحياة، وخاصة لاتعرف الناس بأمثالهم وأغانيهم وتجاربهم وتراكم همومهم... أيضاً في هذه الحلقة المغلقة، في عدم قدرة الأمة على التقدّم خطوات نحو الأمام... كل هذا جعلني أعتقد أنه لايستحق أن يمتحن الواحد احتمالات في قضايا من الممكن أننا كمثقفين بعيدين عنها، إذ ليس بيننا وبين الناس صلة في الحياة اليومية، حتى أنني أرى في بعض الأحيان عدم معرفة بالمشاكل الكبرى في بلادنا، ونرى الكثير من المثقفين يتعفّفون عن النزول إلى الشارع والإحتكاك بالناس ولايحاولون معرفة الأشياء اليومية في الحياة الحقيقية. إن اغتراب المثقف، وعجز الحركة السياسية كليهما معاً خلق التباسات عديدة، فكيف يمكن الأن تغيير هذه المعادلة؟ هذا تحدٍّ لا يحل في يومٍ أو يومين. إنه مشكلة كبيرة تحتاج فعلاً إلى صيغ إذا لم تتطابق، على الأقل تقترب من الواقع الفعلي.

انفتاح الأفق الروائي

□في محاولةٍ للدخول إلى عالمك الروائي. لا أريد أن أسألك عن تقنيات النص، وبنائيته وسردياته، لنترك هذاالأمر للنقّاد يشتغلون عليه، ولكن أود منكَ البوح عن معاناتك ومجاهدتك ـ خلال تجربتك الطويلة ـ للإنتقال بخطابك إلى مستوى السرد الروائي الفني الرفيع، خصوصاً وأنكَ جدّدت في اللغة، وأضفت للرواية العربية أنساقاً وأبعاداً جديدة. بمعنىآخر كيف تحوّل النثر لديك إلى لغة «إبداعية» متميّزة؟!

■■ والله... يصعب الإجابة على هذا السؤال، بشكلٍ وثوقي. دائماً أي مبدع سواء في الرواية أو في أي حقل آخر، عنده همّ أن يقدم نصاً أكثر ألقاً... وأنا لا أخفي، أن الهم الأكبر بالنسبة لي الآن هو الرواية. ولا أخفي أن أي رواية جديدة هي بالنسبة لي معاناة أصعب من سابقتها، وتشكّل تحدياً. أحاول أن أجتهد لأقدّم نصاً أكثر تجاوباً مع القضايا التي تهمّ الناس، وتهمني كمبدع، بمعنى آخر، لا أزعم إطلاقاً أنني وصلت. دائماً عندي شعور بالقلق والبحث عن صيغة جديدة افضل. من هنا نلاحظ أن الكثير من الأعمال التي قدمتها، تتسم ببعض القلق. مثلاً، كما ذكرت في الشهادة التي قدمتها: أن الروايةالأولى كانت محاولة لوضع حدٍ فاصل بين مرحلة وأخرى، لذلك إتسمت بحدّة، واتسمت بنوعٍ من تصفية حساب مع صيغة كانت موجودةً مع انفتاح الأفق على احتمالات غير واضحة.

فيما بعد، عندما بات الهم الروائي، هو الشغل الأهم، أو الحنين الأكبر، صار البحث عن كيفية تقديم رواية يمكن أن تتناول قضايا مهمة. أما كيف يمكن التعامل مع اللغة، كيف التعامل مع الأساليب. كيف تطرح قضايا فيها إشكاليات سواء بالنسبة لكَ أو للآخر... أنا حاولت منذ وقت مبكّرٍ نسبياً أن أقتحم مثلاً، موضوع السجن السياسي. موضوع النفط... موضوع حياة الناس في ظل الشعور بالمهانة والهزيمة، وخاصة مثلاً في رواية «حين تركنا الجسر».. وكلها عمليات بحث.

□ بنفس الوقت أنت تحاول الشغل على لغة، وأسلوب مفارق لأسلوب الخطاب السائد. باعتقادي المجاهدة تكمن هنا للإرتقاء بالسرد إلى مستوى النثر الرفيع؟

■■ لاشك، كان تحدياً كبيراً، ويمكن ملاحظة أن هناك بوناً كبيراً (إذا صحّ التعبير) في مسألة اللغة ما بين الرواية الأولى والأخيرة، لكن إلى الأن لم اصل إلى ما أعتبره اللغة

اللازمة، أي أن التحدي مازال قائماً. أنا أعتبر أن اللغة التي تحنّطت خلال خمسة قرون، مسألة إعادة إحيائها قضية تحتاج إلى جهدٍ كبير، ومن عددٍ كبير من المبدعين. اللغة هي مصنع الحياة، بمعنى أن التجديد لايتم عن طريق المجمع اللغوي، وإنما تتكوّن اللغة عبر التقاطها من الحياة، ومن أفواه الناس وأيضاً عبر صقلها المستمر.

أتصوّر الآن، إذا قارنت اللغة، كلغة بفترة سابقة، قبل خمسين سنة (لغة الصحافة، لغة الخطاب اليومي، لغة خطاب المثقفين...) كلها تطورت كثيراً، وبالتأكيد كل هذه الوسائل، ساهمت في تغييرها، وتطويرها، لذلك مطلوب الشغل في هذا الحقل، الذي هو بحاجة لجهد كبير، وبحاجة إلى نوع من الرؤية التي تحاول قدر الإمكان أن تشعر بمسؤوليتها. أنا مثلاً، لا أدعو إلى اللغة العامية بالكامل، لكن أرى أن جزءاً من العامية ربما مفيد استعماله، ويمكن تفصيحه إذا صح التعبير، ويمكن إعادة استخدامه، لذلك أشعر أن أكبر التحدّيات فيما يتعلق بالرواية المطلوبة هي طريقة بنائها، ولغتها، ويمكن لهذا أن يساعد على التميّز لاحقاً في تقديم رواية عربية متميّزة.

□في رواياتك الثلاث: (القسم الثاني من الأشجار واغتيال مرزوق، شرق المتوسط، الآن، هنا) ثمة مماثلة في إيقاعات النصوص ومناخاتها. فأولاً المواجهة دائماً تقوم بين الشخصية المحورية في النص والسلطة. من جهةٍ أخرى أرى مناخات الروايات الثلاث مشحونة بالتفاعلات السياسية التي تؤدي إلى سحق المثقف (موته الجسدي أو السياسي). أيضاً الشخصية في الروايات الثلاث إما ضحية أو أداة للقمع... والسؤال: هل تكرارية هذه المماثلة (إذا وافقت على المصطلح) نابعة من إلحاحية هاجس مقولة القمع، أم ثمة إضاءات أو زوايا جديدة، كنت تود مقاربتها في كل عمل؟

مقولة القمع

■■هناك روايتان متشابهتان من ناحية الموضوع هما: شرق المتوسط، والآن، هنا، ولاشك بالنسبة لـ «الأشجار واغتيال مرزوق» في جزء من متابعة، لطرح مشكلة القمع. لذلك أفترض مبدئياً أن هناك همّاً واحداً، أو متقارباً في هذه الروايات، لكن، أشعر أن هناك أفقاً واسعاً للرواية يمكن أن تصل له، أو تتعامل معه، وهذا ما دفعني لأن أبحث عن موضوعات وقضايا أخرى إضافية عدا عن موضوع القمع بشكله المباشر، والمتمثّل بالسجن السياسي أو بالسلطة كصيغة مواجهة بين المثقف، وبين من يملك حق تقرير مصائر الآخرين.

• لاأخفي أن «الرواية» هي الهم الأكبر بالنسبة لي.

• احدى النواقص في الرواية العربية هو غياب اللون.

في روايات عديدة توسّع الأفق، وصار في هموم تتناول قضايا من طبيعة أخرى لكن أحس ان الصيغة السياسية الموجودة هي أكبر عائق في تحقيق احتمالات إيجابية للمستقبل، لذلك ظلّ هاجس السلطة بطبيعتها الراهنة هاجساً يشكّل همّاً، أو عائقاً أمام التقدّم والتغيير. لاشك أن السجن السياسي أحد الرموز الكبرى للعار الذي نعيش فيه الآن، وما لم يخلق راي عام واسع من أجل تدمير هذه الظاهرة، سنظل مسلوبي الإرادة، مقموعين، وغير قادرين على أن نكون فعلاً بشراً قادرين على الفعل والمشاركة وإبداء الرأي والحوار الواسع الصحي.

لذلك فالموضوع له هواجس وهموم لها أولوية، أما بالنسبة «لمدن الملح» مثلاً، فانا تجاوزت البطل ـ الفرد، وتجاوزت القضية الجزئية، لأنني أعتقد أن موضوع النفط، أعاد تشكيل المنطقة وهو الذي خلق أوضاعاً جديدة، وكرّسها، وبالتالي من المفروض أن نرى حجم المشكلة، وأن ننتبّه إلى إشكالية ما لم نواجهها، سوف تظل ضاغطة ومؤثرة إلى حدٍّ كبير.

□هل تكفي برأيك الموهبة، دون تجربة فعلية للتعبير عن حالة تحمل الكثير من الخصوصية، كتجربة السجن السياسي؟

الموهبة لاتكفي

■■بتقديري، الموهبة لاتكفي... ويستحيل أن تكون الموهبة بديلاً. الموهبة مثل الشرارة التي تفتح نافذة، أو تضيء جانباً لكن التجربة الشخصية إضافةً إلى الشغل على الموضوع هو الاساس. أنا دائماً أقول: إن الرواية تحتاج إلى كثير من الثقافة ـ إذا صحّ التعبير ـ أو الإنشغال بكثير من الأمور التي قد لايكون لها ظهور واضح في العمل الروائي.

مثلاً، أكثر من مرة، قلت من باب المزاح: إن بعض روائيينا، ولأنهم قرأوا الأدب الروسي يستعيرون حتى الأشجار من روسيا، ويضعونها في أعمالهم، فالبعض ليس لديه معرفة كافية بأشجار بلادنا. البعض لايعرف الأشجار التي تتساقط أوراقها، من الأشجار التي لاتتساقط أوراقها، والبعض لايعرف مواسم الحصاد ومواسم جني الثمر... هذا يعني فقراً في المخزون الثقافي.. في الإقتصاد وفي معرفة الأشياء عن كثب.

بعض أصدقائي ومعارفي، يشكون من أنني كثير الأسئلة، عندما أجلس في مكان ما، احب أن أستفسر وأسأل، وأتأكد من هذه الواقعة، ومن تلك الحالة... لأنه لايجوز أن يظل الإنسان معزولاً، يعتمد فقط على الكتاب. الموهبة هي بداية الطريق أما التعب والشغل اليومي، واكتساب المعارف والمعلومات وامتحان الحالات قضية تحتاج إلى جهدٍ متواصل ومثابر.

□أنا أعتقد أن عبد الرحمن منيف هو رجل سياسي أولاً، رغم انتقاله إلى العمل في الحقل الروائي، هل هذا التقييم صحيح؟

■■في علاقتك مع الآخر، في موقفك تجاه السلطة وتجاه القضايا الكبيرة سواء الموجودة هنا أو هناك، أنت مملوء بكم من القضايا ومفروض أن يكون لك موقف منها، أو رأي. لكن يمكن أن تتكلّم سياسة في بعض الأحيان، وقد لا تعمل في السياسة. الفرق هنا بين شخص عنده رأي سياسي، وشخص يصنع السياسة. أتصوّر أن من يشتغل في تنظيمات حزبية هم الذين يصنعون السياسة.

هذه الصناعة تعتمد على الثقافة والمتابعة والدقة، وعلى الطبيعة التنظيمية من نمط معين، وهذا يحتاج إلى جهد، وإلى صقل للشخصية حتى تصل إلى مستوى يؤهلها لأن تتخذ قراراً يعني عدداً كبيراً من الناس، وله

انعكاسات على كل المستويات. بهذا المعنى أنا لست صانع قرار، لكن، أيضاً، لاأنكر إطلاقاً اهتمامي في السياسة وفي بعض الأحيان أبدي غضبي، أو عدم الرضى عن موقف أو آخر... نحن كجيل إذا لم نقرأ الصحيفة، أو نسمع كذا نشرة أخبار يومية نظل نشعر بشيءٍ ينقصنا، نحن بحاجة إليه.

اما من يرى في نفسه أن عمله السياسي، يشكّل مركز الثقل، بالنسبة له فليكن، أنا ليس عندي اعتراض إطلاقاً، بل بالعكس ما نشكو منه في بعض الأحيان هو انصراف الناس عن السياسة نتيجة اليأس اكثر من أي شيءٍ آخر. وهذا محزن ويشكّل ثغرة في العمل السياسي، لكن نريد ايضاً من العمل السياسي في المحصلة أن يفتح أفقاً نحو الأمام.

□في لقاءٍ لكَ مع الكاتب الأمريكي «بيتر ثيرو» الذي ترجم «مدن الملح» إلى الإنكليزية تستغرب ترجمتها، لماذا؟ من ناحية أخرى «ثيرو» توقّع لك أن تكون أول عربي يفوز بجائزة نوبل، أي قبل نجيب محفوظ، وإذا أضفنا رأي «غراهام غرين» الذي يقول عن الخماسية: «هذه الرواية الممتازة تفتح في المخيلة مسارب غريبة جديدة» فهذا يعني أن هناك صدىً خاصاً لأعمالك لدى المتلقي الغربي، فهل تتابع هذا الصدى، خصوصاً وأن معظم أعمالك ترجمت إلى عدة لغات عالمية؟

■■السؤال له أكثر من وجه. أولاً «بيتر ثيرو» هو الذي ترجم مدن الملح، وطبيعي دفع ثمناً لهذه الترجمة، بمعنى أنه كان صحفياً مقيماً في السعودية، ومن أفواه بعض الأصدقاء عرف أن هناك رواية اسمها «مدن الملح» تزعج السعودية، فعندما وصلت له الرواية بعد ان دفع ثمناً مادياً كبيراً لها، قرّر أن يقطع علاقته مع السعودية ويترجم هذه الرواية، وفعلاً ترجم أجزاء عديدة منها، وهو مستمر في الترجمة، لكن، عندما كتبت أنا، «مدن الملح» أو عندما أكتب أي نصٍ آخر، ثق أن آخر ما أفكر فيه هو الترجمة. بمعنى أن المسألة بالنسبة لي أولاً أن تصل رسالتي إلى شعبي... إلى ناسي وإذا وصلت يكون حقي قد وصلني، وعندما أكتب لا أضع في ذهني قارئاً آخر غير القارئ العربي، أما إذا تُرجمت الرواية ووصلت الرسالة التي فيها فخير على خير. من هذه الناحية، أعتبر أن الكتابة، والتفكير بنفس الوقت بالجائزة فيه خطر على الكتابة، ويمكن أن يحرفها عن اتجاهها الصحيح، كما هو حاصل أحياناً، عندما يُلوّح بجائزة نوبل إلى فلان أو فلان من الأسماء.

• أجتهد لأقدم نصاً أكثر ألقاً.

• وديع حداد رجل غني إلى اقصى حد يستحق أن يكتب عنه، ولكن إلى الآن لم يتصد أحد لهذا الموضوع.

الكتب المنوعة... هي الأكثر رواجاً

□ماهي بتقديرك، اعتباراته كي يقول مثل هذا الكلام؟

■■يعني، أنه معروف من قبل الأجانب، وإنه ترجمت بعض أعماله وربما على صلة بالدوائر التي تتخذ القرار، لكن ما أستغربه أنا، أنه ما من شعب من الشعوب، أو ثقافة من الثقافات تراهن، أو تضع كل آمالها واحتمالاتها على موضوع جائزة نوبل، بعض الأحيان حتى الذي يتلقّاها، يتلقّاها لاعتبار جغرافي، أو لاعتبار لغة من اللغات يُراد تكريمها، أو لاعتبارات سياسية، وغالباً ما تكون واردة بشكل فج.

عندما تصل أفكاري، وعندما أحكي للناس همومها، كيف تفكر، وكيف يجب أن تغيّر، وعندما يتلقى الناس هذه الرسالة هذا بحد ذاته رضى كبير بالنسبة لي، ويخلق لي غبطة داخلية... فيما بعد إذا أراد الطير أن يطير، ويتجاوز الحدود، فليكن. الكتاب بجناحين، وقادر على الوصول، وبهذه المناسبة اقول: الكتب المنوعة هي الكتب الأكثر رواجاً، وهي التي تصل، لذلك من المفروض على الحكومات وعلى الرقيب أن يدرك ذلك، ويحاول أن يتعامل مع الأشياء بصبر، وبعقل مفتوح وصيغة جديدة.

العلاقة مع الآخر

□في العلاقة مع الآخر... يندهش «ثيرو»... من غياب الأمريكيين في الروايات العربية، كمثال محيّر على حضور الغياب، أما عن خماسيتك فيرى أن الأمريكيين حاضرون «كغزاة غامضين»، ومن خلال سؤال الأمير الغر عن «حصان امريكا المعدني الكبير»... ويلاحظ أن رواياتك لاتتضمن أمريكياً سيء الطوية، ولم تنطو على «نحن» و «هم». «كنا جميعاً في تناوبات متبادلة يسيء واحدنا فهم الآخر بطرق جديدة ومختلفة، ويبعدنا عن التواصل إحساس غريزي بالفزع والغطرسة».
ما تعليقك على مثل هذه القراءة؟

■■طبيعي يوجد وجهان للموضوع، الأول أننا نحن كعرب ليس لنا موقف تجاه الأمريكي الفرد، بل على العكس، أنا أشعر ان هذا الأمريكي بسيط، وشفيل، وعنده طموحات من نمطٍ معين أملتها طبيعة الأوضاع والمنافسات الموجودة، لكن أيضاً، وبدءاً من نهاية الحرب العالمية الثانية اصبح هناك أمريكي آخر، امريكي وارث للمستعمرات والمستعمرين القدامى، وأمريكي لديه شعور بالثقة والقوة إلى درجة يريد معها أن يفرض نفسه، ونمط حياته وهيمنته على الآخر. هذا ما يشكّل نوعاً من المسافة والموقف تجاه أمريكا، بالنسبة للأشخاص الذين تناولتهم في روايات سواء في «سباق المسافات الطويلة» أو «مدن الملح» تناولت نمطين من الأمريكان. أمريكان عاديون جاءوا كجزء من الآلة، وبالتالي فهم كاشخاص غير سيئين، لكن المحصلة الأخيرة في هذا المجيء، أو الرحلة نحو بلادنا فيه عنصر العرق، وعنصر الإستغلال، وحتى في «سباق المسافات الطويلة» لفتت النظر إلى الصراع الأمريكي ـ البريطاني في إيران، وبالتالي هذا المستعمر الجديد قادم كي يرث. وحتى يكون البديل، ولكن بأساليب أكثر قسوة، وفي بعض الأحيان فيها استغلال لضعف الآخر ومحاولة لإخضاعه.

أما كيف يقرأنا الآخر، أو كيف يفهم طريقنا؟! يوجد هامش للإجتهاد والتفاوت.

فضاء النص الصحراوي

□«الأشجار، النهايات، سباق المسافات الطويلة، مدن الملح» فتحت ما يسمى دراسة الصحراء، أو «فضاء النص الصحراوي» واعتمدت كتقنية في القص الحكايات المتوالدة «الف ليلة وليلة» وإذا كان النفط والصراعات حوله هو الهواجس الذي دفعك إلى تتبع تأثيراته الفاجعية على المنطقة، فما الذي يمكن برأيك قوله الآن، بعد إعادة تأمل المشهد على ضوء حرب الخليج والتهديدات الراهنة التي تواجه المنطقة... والتي وصلت إلى حد الإلحاق الكامل، ومحو الهوية؟

■■ثمة كم كبير من القضايا الكبيرة الساخنة المهمة التي تتطلب معالجة روائية، ولكن أيضاً الرواية عمل غير سهل. لا أخفيك أنني ومن حوالي خمس سنوات أشتغل على موضوع وإلى الآن لم أنجزه، وبالتالي كل جهدي وهمي هو محاولة الوصول إلى صيغة.

حرب الخليج - شكلت أيضا، كحرب حزيران ما قبل وما بعد، وآثارها كلها لم تظهر بعد. أعتقد أن أكبر إذلال، وأكبر إهانة وجهت لكل شخص منا هي الأحداث التي حدثت خلال الأسابيع الأخيرة. موضوع التفتيش وموضوع الحصار، الغذاء.. الأطفال الخ..بمعنى أخر الأمريكان جعلونا مكسر عصا، وأرادوا تعليم العالم كله من خلالنا، لذلك الطريقة كانت قاسية إلى أقصى حد، وفيها عنجهية وإهانة مباشرة وأرادوها وسيلة لإخضاع أوروبا، اليابان، روسيا، الصين، وإعادة صياغة العالم ضمن نسق جديد يتلاءم مع مصالحهم.

لذلك يجب تعبئة الرأي العام، ومحاولة الرد ومن هذا الجانب أرى من الضروري رفع الصوت يومياً، وبأساليب متعددة لفضح السياسة الأمريكية وإلا يمكن أن تستباح كل الأشياء. نحن الآن في مواجهة استعمار أشد قوةمن الاستعمار القديم. بفترة من الزمن انحسرت الصيغة الاستعمارية المباشرة، وصار الاستعمار يلبس قفازات حريرية لكننا الآن نواجه استعماراً بطريقته البدائية الفجة الأولى، احتلال مباشر، قواعد، وقوات احتلال، ونوع من الحصار المباشر، وطبيعي فإن حكامنا هم أحد الأسباب في هذا الهوان الذي نعيشه الآن لذلك فكيف يمكن أن تعالج هذه المسائل روائياً؟ يمكن أن تعالج من خلال رصد ظاهرة أو حالة ، لأن الرواية ترى انعكاسات وضع معين على البشر،فإذا أخذنا مثلاً الآن حالة الأطفال العراقيين، والأعاقة التي تحصل نرى أن نتائجها ليست محصورة فقط في المرحلة الحالية وإنما ستنعكس على الأجيال القادمة.

عدد الأطفال العراقيين الذين ماتوا خلال الحصار، يتجاوز عدد سكان الكويت بعدة مرات. لذلك المسألة تحمل جانباً قاسياً جداً، لفضح هذا الاستعمار و لمحاربته ولتعرية كل الناس الذين على علاقة معه.

بمعنى آخر العولمة الآن هي الأمركة، هي فرض صيغة وحيدة، وإذا كنا الآن كعرب في المقدمة ندفع الثمن فغداً آخرون سوف يدفعون الثمن وحتى أوروبا مثلاً، المزدهرة، القوية، بدأ نفوذها يتراجع مع حرب الخليج لأن أمريكا فرضت صيغة وحيدة.

> **• لا أزعم أنني وصلت!**
>
> **• لولا القضية الفلسطينية كان من الممكن أن نرى مجتمعنا العربي بحالة ركود مستنقعي الى أبعد الحدود.**

□عندما استخدمت تقنية الحكايات «ألف ليلة وليلة» في مدن الملح هل كنت تتصور بشكلٍ مسبق أنك ستكتب خماسية، أم أن الأمر تطور من خلال الخوض في غمار الكتابة، ومناخاتها التي فرضت مثل هذا الشكل؟

■■حتى لا أخدع أحداً، لا أزعم أنني عندما بدأت الكتابة كنت أتصور أنني ساكتب خمسة أجزاء. كنت أتصور أن هذه الرواية ستكون طويله نسبياً، أما أجزاؤها بهذا الشكل وبهذا النمط فلا. أيضاً الكتابة لا تتولد إلا من خلال الكتابة، بمعنى آخر، كان لديّ تصور أولي، ولكن عندما يلقي المرء نفسه في الماء، لا بد أن يتعلم السباحة لكنه سيواجه الكثير من الصعاب والمشاكل.

بذهني أن موضوع الصحراء يحتاج إلى مساحة واسعة، وموضوع النفط باعتباره أهم عامل مؤثر في حياتنا المعاصرة، يحتاج إلى توضيح. يحتاج معرفة وقراءة آلياته و تطوره واشكالياته أما مسألة خمسة أجزاء فلا. المسألة مثل كرة الثلج، تكبر تدريجياً. الشخصية تولّد شخصية والحالة تولد حالة، وهذا التوليد المستمر هو من مزايا ألف ليلة وليلة، وكثير من القص العربي يعتمد على هذه الحالة الدورانية التي تتكامل وتتوالد وتتشكل واعتقد أن لدينا ذخيرة وامكانية لاستخدام جزءمن القص العربي القديم و إدخاله في نسيج الرواية العربية المعاصرة ومعروف أن الرواية الأوربية بدأت بالاستفادة من «ألف ليلة وليلة» ومن باب أولى أن نستفيد نحن أصحابها منها.

المسألة كانت نوعاًمن المغامرة، فيها بعض المؤشرات التي لم يكن واضحاً في ذهني كافة تفاصيلها، لكن من خلال الاستخدام المتزايد لأكثر من أسلوب، أخذت الرواية هذا السياق.

فضاء مغاير للمدينة

□المدينة، حاضرة كمكان في معظم رواياتك «مدن الملح»، «سيرة مدينة: عمان في الأربعينات» إلى أي حد يرتبط هذا مع هاجسك في البحث عن فضاء مغاير للمدينة. فضاء ينمو في أحشائه مجتمع مدني يحقق إنسانية الإنسان وحريته؟

■■يخشى الانسان أن يقول: إن المدينة العربية، حتى الآن لم تتكون بعد. ربما، ما عدا القاهرة، والتي هي خلاصة لحضارات طويلة متواصلة، مستمرة تجد أن المدن العربية فيها كثافة سكانية، وفيها اتساع لكن الحياة المدينية لم تتكون بعد. مازالت البداوة بغزواتها المستمرة تكوّن المدينة وتعيد تشكيلها. مثلاً، التركيز على العواصم. إذ معظم السكان (ربع أو ثلث سكان كل قطر) يتركزون في العواصم، وهي تمر بمرحلة انتقالية، أي مزيج من حياة البداوة، وحياة الريف مع تطلّع إلى صيغة مدينية جديدة. برأيي المفهوم المديني من ناحية العلاقات، ومن ناحية إعادة الصياغة مايزال في مرحلته الجنينية وهذا ما يشكّل الكثير من

الاضطراب في الرؤية، حيث يمكن أن نرى في البيت الواحد، أو الحي الواحد العديد من المستويات ومن العلاقات، والنظرة، وطريقة التصرف، والسبب أن الكم الذي جاء من خارج المدينة إلى داخلها كبير، لا يمكن استيعابه على طريقة المدن الأخرى القادرة على الامتصاص والاستيعاب. مثلاً أي شخص يأتي إلى «باريس» من خارجها، يصبح بعد سنوات باريسياً لأنها تفرض عليه نمطها ونمط الحياة السائد فيها، تفرض إيقاعاً معيناً وعلاقات من نمطٍ خاص.

طبعاً، نتمنى أن تتكون الحياة المدنية والمجتمع المدني، ونتمنى أن يتمدّن الريف، لكن ما يحصل في بلادنا تقريباً هو العكس: أي ترييف المدن واضطراب إيقاعها، ووجود عدة عصور، حيث يسود فعلياً البحث الأعشى (إذا لم يكن الأعمى) عن صيغة مجهولة، تشبه العميان الذين يبحثون في الظلمة عن إبرة، مثلاً، أو عن شيءٍ من هذا القبيل. أما عن جملة الهواجس التي لديّ. كيف يمكن للمدينة العربية أن يكون لها علاقات مدينية، مع بعضها، في نظرتها وفي موقفها؟ فكما نرى حجم السيارات في مدننا أكبر بكثير مما يمكن أن تتحمله، لكن أيضاً، لازالت النظرة إلى السيارة نظرة بدائية، كذلك ثمة اشكاليات كثيرة، المدينة العربية غير قادرة على حلها. في «مدن الملح» قلت: «... ناطحات السحاب، المكوّنة من الزجاج والحديد...» هذه مخلوقة للسويد، أو لمدينة مثل نيويورك. هناك ضرورة، وحاجة لهذا البناء العمودي، ولهذا النمط من العمارة، الذي يحتوي على هذا الكم من الزجاج، كي يستقبل الشمس والضوء في بلادنا، عندما يستعيرون هذا النمط من البناء، كأنهم يستعيرون نخلة، ويزرعونها في القطب. فهي ليست متلائمة مع الطبيعة أو المكان.

منيف كقارىء

□عبد الرحمن منيف القارىء، لا الروائي، عند أي من الكتاب، أو الروائيين العرب يتوقف متوهجاً؟

■■في إشارة، أحب أن أؤكد عليها من جديد، أنه ومن خلال علاقتي مع المرحوم جبرا ابراهيم جبرا، ومن خلال حوارات متعددة، توصلّنا إلى معادلة، أو إلى رأي مفاده: كي تنمو الرواية في جو صحي، من الضروري أن يتكوّن أولاً جو روائي، أو حالة روائية، وبالتالي خلافاً للشعر الذي كان يعتز دائماً بأن له أعماقاً. لنترك الأشياء تنمو على طبيعتها، ضمن مساحة كبيرة ومتفتحة. بمعنى، يحسُن ألا يقول الواحد رأيه بالآخرين على انه ناقد، أو قادر على إعطاء شهادات أو علامات، فانا أعتز بصداقات تربطني بعددٍ كبيرٍ من الروائيين، أقرأ أعمالهم وأتمتع بها، لكن لا أحب أن أعطي رأياً، لأن هناك نقد، نقّاد لديهم وسائل للقياس والتقييم، وبالتالي يملكون امكانية أكبر لإعطاء جواب على مثل هذا السؤال.

□حضور المرأة كشخصية روائية في عالم منيف الروائي، يشبه حضور الغياب، أي لم يبرز كحضور موازٍ لحضور الرجل.. هل توافق على هذا التعليل؟

■■لا، غير موافق، صحيح أن حضور الرجل في الحياة، وخاصة خارج البيت، في الحياة العامة، أوضح وأوسع، لكن، أيضاً المرأة لعبت دوراً مهماً في عددٍ من الروايات التي كتبتها، والأهمية لا تُقاس بعدد الصفحات، ولا تقاس بالمساحة، وإنما تُقاس بالأهمية والتأثير. أنا مثلاً، اعتبر، أن البطل الحقيقي في «شرق المتوسط» هي الأم والأخت، أكثر من «رجب اسماعيل» الذي خبص الدنيا، وشغل الناس. اعتبر، أن بعض الشخصيات، وإن كانت شغلت حيّزاً محدوداً في الرواية، لكنها كانت بالغة الأهمية. في مدن الملح مثلاً كان في عدة شخصيات نسائية مهمة. شخصية زوجة «متعب الهزّال» نفسه، كانت شخصية مهمة، وشخصية المرأة الشامية «إم حسني» التي كانت تأتي بالسلع الصغيرة من أجل بيعها حتى تعيّش ابنها وفي أخت السلطان التي لعبت أيضاً دوراً مهماً وإن كان من خلف الستار.

المشكلة، بالنسبة لموضوع المرأة، أغلب الأحيان، النظرة للموضوع ترتبط بمدى الصخب، والإثارة التي يمكن أن تشكلّه في العمل الروائي، لذلك صورة المرأة ـ في كثير من الأحيان ـ تأتي كديكور، أو كعنصر لخلق التشويق، ولالتقاط القارىء وشدّه.

أنا لست مع هذا النوع، وأحب أن تحتل الشخصية الموقع الذي تستحقه، وتكون مؤهلة له، وبالشكل الذي يحدث تأثيراً فعلياً في الواقع، من هنا أرى أننا بحاجة لإعادة قراءة الأعمال ضمن سياق الفكرة التي أتحدّث عنها. مثلاً «شيرين» في سباق المسافات الطويلة، كانت هي اللولب، أو العنصر ـ المفتاح، الذي فتح الكثير من الآفاق، من خلال وضع المرأة وشكلها. أيضاً «قصة حب مجوسية» قدمت صورة للمرأة بشكلٍ مغايرٍ لما هو مألوف. لذلك فانا، عندي تحفظ على وجهة النظر هذه، وأوضحت رأيي، وثمة مجال للاجتهاد... والتفاوت.

الباهي.. ووديع حداد!

□في نص «الباهي» تغلّب منيف الروائي.. على منيف التسجيلي، أو المؤرخ، رغم أن الموضوع يرصد السيرة الذاتية لشخصية فذة من خلال مناخات جيلٍ بكامله.. أي أنكَ ابتعدت عن دقة الوثيقة لصالح خيال الروائي، لماذا؟

■■أولاً، الكتاب، كان يهدف إلى قراءة مرحلة، وجيل من خلال شخص، وهذا الشخص كان بمثابة مرآة، شاهدنا أنفسنا، وجيلنا من خلالها. طبيعي كان العمل التوثيقي بحاجة إلى وسائل أخرى... لكن هذا النوع من الكتابة يحتاج ـ إن صح التعبير ـ إلى نمط جديد في قراءة الشخصية، وأنا أشعر أننا بحاجة إلى نوعين من الكتابة. الكتابة عن المدن والأماكن، والكتابة عن الأشخاص، ربما هذه الأساليب، أو طريقة الكتابة عنها مازالت غير مألوفة، أو غير دارجة، ومن الممكن أنني عندما كتبت «ذاكرة المدن» كان عندي نوع من الرغبة لقول الكثير من الأشياء التي يمكن أن تسجّل من خلال عيون الناس، ومن خلال حياتهم. وأشعر بأسى على أننا بعد سنوات ربما ليست كثيرة، سنجد الكثير من المواقع والحيوات التي عاشها كثير من الناس (المهمين) (مهمين لأنهم عاشوا وعانوا) قد ضاعت، لذلك أحس بضرورة تسجيل الوقائع وإعادة اكتشافها، وتوليفها ضمن ذاكرة حيّة ومستمرة.

لعل روح البداوة، مازالت مسيطرة علينا، في المضافة أو السهرة حيث يمكن لواحدنا أن يتحدّث، ويمكن للآخر أن يلتقط بعض الأشياء، وبالتالي تغيب الأمور على أساس أن واحدنا أرضى ضميره والآخرون سمعوا وانتهى الأمر، شعوب أو ثقافات أخرى تعتمد الطريقة الكتابية والتوثيق، ويجب علينا الانتقال من الحضارة الشفوية إلى الحضارة المكتوبة والتسجيل.

بدافع هذه الرغبة كتبت الباهي، وأتمنى أن يحدث نمط من الكتابة في هذا المجال بشكلٍ أوسع.. مثلاً أنا أشعر أن «وديع حداد» رجل غني إلى أقصى حد، ويستحق أن يُكتب عنه، ولكن إلى الآن لم يتصد أحد لهذا الموضوع، عدا عن أن أصدقاءه ومعارفه والناس الذين لهم صلة معه، بعد كذا سنة سوف يغيبون، وبالتالي سيصبح وديع حداد، أو من يماثله مثل ورقة على شجرة يابسة ليس لها حضور أو تفاصيل صغيرة يومية، فيها دم وحرارة ونبض حي. موضوع الباهي رسم «بورتريه» آخر، من خلال مجموعة وقائع ومسارات. من المفيد برأيي أن يتكرّس هذا النوع من الكتابة كتقليد في حياتنا الفكرية والأدبية.

علاقة الكلمة بالصورة

□في كتابك عن «مروان قصاب باشي» محاولة أخرى لرسم علاقة بين الكلمة والصورة، أو مقاربة بين الرواية والفن التشكيلي، فهل هي مغامرة تجريبية أخرى؟

■■أتصور أن من جملة النواقص، التي نعاني منها في الوقت الحاضر هو غياب الصلة بين أدوات التعبير. فكل جنس أدبي أو فني نراه ينمو بمعزل عن الآخر، وبالتالي تنمو معه استطالات، أو تكوينات بحاجة إلى صقل، وبحاجة إلى حدود، وإلى تفاعل.. وهذه أحد الأسباب التي دفعتني للكتابة عن مروان «رحلة الفن والحياة». في أماكن اخرى، نحس أن الروائي له صلة بالفن التشكيلي، ويتمثّل الرواية بأشكال متعددة، قبل أن يقدم على إخراجها سينمائياً وأيضاً نرى أن له علاقة بالشعر والمسرح... الخ.

هنا نرى، عزلات، أو جزر، وكل واحدة مستقلة عن الأخرى ولا يوجد مواصلات فيما بينها.

لذلك نشعر بوجود فقر في كل حقل من الحقول، ولا يوجد تفاعل، ولا يوجد استفادة متبادلة، بحيث تخلق نوعاً من «البانوراما» في الحياة الثقافية والفنية بشكلٍ يمكن أن تكون معه أغنى وأكثر تأثيراً في حياتنا.

هذا الأمر، إذا لم نتداركه، يمكن أن يخلق أنماطاً للتعبير معزولة، ومتباعدة عن بعضها. هذا السبب هو من جملة الأسباب التي دفعتني لكتابة هذا الكتاب.

هناك مسألة أخرى وهي، أنني كروائي، أغتني جداً عندما أشاهد لوحة جديدة، وعندما أتحاور معها وأكتشف خصائص اللون فيها، وكيف يؤثر... إحدى النواقص في الرواية العربية هو غياب اللون، إذ لن تجد من يصف لك الألوان بشكلها التفصيلي، أو الحقيقي وبالتالي هذا نقص كبير ويعني أن ليس هناك قدرة على رؤية عمل تشكيلي..

أثناء وجودي في اليابان، لاحظت أن الياباني عندما يشاهد زهرة يفتح عيونه بدهشة وكأنه لأول مرةٍ يشاهدها. في كل مرة يراها بشكلٍ جديد، وفي كل مرة يحاول أن يكتشف فيها شيئاً لم يكتشفه من قبل.

المشكلة أن قدرتنا على رؤية الأشياء في بعض الأحيان محدودة، طبعاً هذا له علاقة بالتعوّد، والتعلّم في الطفولة، كيف نشاهد الأشياء، ونتعامل معها الخ... من جملة الأشياء التي تستلفت نظري، بعدما أرى شخصاً معيناً أتساءل: ماذا كان يلبس؟ بمعنى، أسأل نفسي هل راقبت الأشياء أم لا. شاهدت الأشياء أم لا... مثلاً إسأل شخصاً ما، أن يصف لكَ مكاناً معيناً. إذا كانت الصورة واضحة في ذهنك، ربما يشوشها، لأن طريقة وصفه غير دقيقة، وربما لا يرى الأشياء كما يجب.

بالمختصر، العلاقة، بين المبدعين ليست صحيحة، ومضطربة.

□قريباً تحل الذكرى الخمسون لاغتصاب فلسطين، خمسون عاماً من التحدي الصهيوني، وواضح أن المشروع - حتى الآن - انتصر، فأين يرى عبد الرحمن منيف القضية الفلسطينية؟

■■أنا أتصور نفسي، بمعنى ما فلسطيني، لأنه منذ أن فتّحت عيني على الحياة وهذه قضية مركزية، بمعنى أن أول ما كنت أشاهد البرتقال وأسمع كلمة «بيارة»، كان ينفتح أمامي عالم من نمط معين، وعندما كنا أطفالاً، كنا نلعب قضية «العرب واليهود»، مثل لعبة «الشرطة والحرامية». هذه الإشكالية الكبرى موجودة، بغض النظر عن تعبيراتها الفنية، موجودة في خبزنا اليومي، موجودة في حركتنا، في علاقتنا مع الآخر، في شعورنا بنوع من المهانة وضرورة التغيير.

لولا القضية الفلسطينية، لكان من الممكن أن نرى مجتمعنا العربي بحالة ركود مستنقعي إلى أبعد الحدود.

لاشك، على أنه منذ العام الـ١٩٤٨ وحتى الآن مازلنا ندفع كمّاً كبيراً من الضحايا ومن الحرية ومن الكرامة.. لكن أيضاً أحس أن هذه المشكلة غير قابلة للحل ضمن ما هو مطروح. يعني ليس هناك، صيغة يمكن أن تؤدي إلى رضى حقيقي بالنسبة إلى العرب. بمعنى أننا الآن ضعفاء، ومعزولون ويفرض علينا حلول، لكن هذا إلى حين. في الماضي كان موضوع بريطانيا، الآن أمريكا. اسرائيل لن يكتب لها البقاء والاستمرار ضمن صيغتها الحالية. هذا يعني، وجود خلل كبير يجب أن يتوقف عنده كل من له ضمير، كل من له قدرة، وكل من هو مسؤول عن مستقبل المنطقة وحياتها وإلا ستبقى إشكالية غير قابلة للسيطرة عليها. يمكن الآن نتيجة الضغط والارهاب أن تفرض صيغة، وأن تملى شروط، ولكن هذا إلى زمن معين، وغداً تنتكس وتصبح القضية عرضةً لكثير من الاحتمالات. بلورسيا وبعد سبعمائة سنة من الاتحاد مع روسيا، تبيّن أن هذا الشعب عنده رغبات وطموح وتاريخ ومستقبل وبالتالي يريد أن يعيش بشكله الذي يرتضيه، يوغسلافيا، ورغم الكثير من الجهد والمحاولات للوصول إلى صيغة ونمط جديد في العلاقات، لكن أيضاً تفجرت وخلقت خللاً في أوروبا لم تنته مضاعفاته بعد. ونفس الشيء في كل مكان في العالم، فإذا كانت اسرائيل، ونتيجة القوة والعلاقات التحالفية بينها وبين الآخر ستفرض صيغة للوضع العربي الضعيف، سيتحملها لفترة معينة، فانا أعتقد أن القضية غير قابلة للاستمرار ضمن هذا المنطق.

كيف التحدي؟ قضية مفتوحة والرهان كبير. الآن وفي المستقبل. لكن المشكلة غير قابلة للحل ضمن منطق الفرض. وهذا يستدعي أن نزيل من أذهاننا إمكانية الانتصار على اسرائيل خلال فترة منظورة، على أن نستعد لمرحلة أطول. هذا يستدعي أيضاً أن نتعلّم الدروس منهم. فهم أعلنوا سنة الـ٩٧ في القرن الماضي عن وطن قومي ودولة سينشئونها بعد خمسين سنة وفعلاً أنشأوها. فإذا امتلكنا نوعاً من الصبر وبعد النظر والعمل على المدى الطويل في مواجهة المشكلة، عندها أتصور أننا نكون قد بدأنا نسلك الطريق الصحيح، ولكن أفترض أن هذه المسألة قد تمتد لأجيال، وتنتقل كرة النار من مكان لمكان لأن الصيغة غير مقبولة، أضف الى ذلك العداء لليهود ولكن أيضاً عداء لهذه الصيغة، صيغة الاستبعاد، صيغة الفرض، صيغة اعادة تشكيل المنطقة وفقاً لشكل جديد مختلف عن تاريخها وناسها. هذه قضية مستحيلة ■■

شــهادة

زهرة برّية لعبد الرحمن منيف

ابراهيم صموئيل



اعترف أنني كلما وقعت على عمل روائي جديد لعبد الرحمن منيف، وعدت نفسي برحلة مع الكلام ممتعة. رحلة مع كتابة تأسرني طوال الطريق معها، من أول مقطع فيها حتى آخر سطر. أقلّب صفحة بعد صفحة، مندهشاً، مرة بعد مرة، من هذا الدفق في الكلام ومن هذا التدفق للجمال.

وفي كل مرة أحار في السرّ الكامن في متعة القراءة تلك! ألأن هذا الرجل أترع بتجارب حياتية، وأُترع بموهبة كتابية، فاستطاع، بما ملك ووُهِبَ، أن يملكنا تجارب لم نخضها ـ أو نحن خضنا بعضها فحسب ـ ويهبنا متعة أدبية جديدة إلى استمتاعنا بأعمال أدبية لكتّاب آخرين؟! أو لأن لدى هذا المبدع بصيرة حادة، نافذة، نلمسها، بيقين تام، في أعماله الروائية، أو هو ينفذ بنصّه البصير إلى أرواحنا فيبصّرها بما حولها، أو يوقظها من غفوتها لتبصر، وتتأمّل، وتعيد الحساب مع حيواتنا بتفاصيلها الصغيرة والكبيرة، الآنية والمستقبلية، وكذا المرئية منها الغائبة أو المغيّبة! أم لأسباب أخرى ستبقى عصية على البيان طالما هي من نسيج السرّ العظيم: الإبداع؟!

لايهمني أن أعرف لِمَ أستمتع بأعمال عبد الرحمن منيف... يكفي إنها تُحقق لي ذلك.

بيد أن اعترافي هذا يقودني، من تلقائه، إلى تلمّس ملامح مما يكنّه اعجابي بأعماله، أو يؤثّر به نصّه الروائي عليّ.

من ذلك أن عبد الرحمن منيف لايهوّل وقائع حياتنا وأحوالها، ولايضخّم حجم الإنسان فينا، ولايكبّر أحلامنا ويلوّن ما نتوق إليه... هو ـ فقط ـ يضيء ذلك كله، يكشف المستور منه، ويقشر الصدأ عنه، ويرفع ركام الحجب والستائر والأكاذيب والتضليل والخداع عنه... فتنكشف لنا أهوال المآسي التي نعيش، وتصدّعات الأحوال التي تحيط بنا، وتعدد الألوان التي كانت لأحلامنا، وثقل القمع الواقع علينا، وحجم الخوف الوالغ فينا، وحدّة وجروف الإنكسارات المتوالية في مساراتنا، وكمية الدماء التي أُهدرت منّا!

هو يضيء فقط فيجعلنا نلتفت إلينا ونتساءل: أ إلى هذا الحدّ حقاً غُيّبنا عن أنفسنا! وإلى هذا الحد سُرقنا! وإلى هذا الدرك دُفع بنا وهوينا! وإلى ذاك الفخ حقاً تمّ سوقنا، لنقع فيه، ونعتاد عليه، ونألفه، ثم ندافع عن ناصبه، ونضحي بحياتنا لأجل تسيّده علينا واستمرار اصطياده لنا؟!

وبذا، لايُقدم لنا عبد الرحمن منيف الأفيون، بل يكشف حجم اعتيادنا عليه!

يكشف، فأكتشف موقعي، وحالي، و «بيدقيتي» تحت يد اللاعب، وحدود مرّبعي الذي سُجنت فيه، ومساري الذي رسمه لي اللاعب، وحتفي الذي أمضي إليه عبر موقعةٍ لحماية الملك ولانتصاره... أو من دون موقعة، في موت مجاني بلا بعرة من مقابل!!

من ذلك أن عبد الرحمن منيف لم يجلب مياه بحر، ولم يجففها ويستخرج منها الملح، ليبني مدنه. هو ذهب ـ على متن روايته ـ نحوها، وتسلل إليها، ثم عاد منها كاشفاً لنا ما رأى.

أما مدن الملح فقد كانت قائمة قبل روايته، وهي لاتزال ماثلة بعد روايته، وكنا نحتاج إلى عبد الرحمن منيف لنتعرف إلى مواقعها أكثر، وإلى دورها في محيط حياتنا، وإلى بُناتها وساكنيها من الحاكمين والمحكومين على السواء، وإلى طرقاتها، وطرائقها، ومساربها، ومداخلها، وأقبيتها، وأسرارها الدفينة، وكل المتخيّل وغير المتخيّل من وجودها وحقيقة وجودها.

وكذا، لم يرسم عبد الرحمن منيف شرقاً للمتوسط. نصّه حملنا إليه لكي نرى حجم الحصار والتعذيب والقمع والواقع على شخوصه وعلينا فيه.

وعندما عاود رحلته إليه فلكي يقول لنا بأن هول ما رأيناه لم يكن أحلام يقظة، ولا أحلام منامات، ولا خيالات أو وقائع من تاريخ غابر مضى وانقضى، ولا كذلك هلوسات كاتب، أو فانتازيا مؤلف... بل هو قائم «الآن، هنا» على الأرض التي نعيش فوقها... وينتشر «الآن، هنا» بيننا مثل الوباء.

كذا حال منيف في مجمل أعماله: رحلة إلى الواقع المادي ـ بالمعنى الواسع والعميق للكلمة ـ القائم والشاخص في حيواتنا... وعودة منه بواقع روائي كشّاف ودالّ... غَرفٌ من المادة الأولى، الهيولى، ثم فيضٌ من التشكيل الروائي والتشخيص الفني.

وعبر رحلته إلى، وعودته من، أكتشف نفسي، وأكتشف ما حولي، وما يحوط بما يحوطني، إلى آخر الدنيا، وإلى «النهايات» مما يغور فيّ ويختبئ، أو يتشابك خارجي، ويتعقّد.

ومن ذلك إسلوبية عبد الرحمن منيف، والبناء الفني المعماري لأعماله، ولغتها.

فهو لايسلب مني بوصلتي الدالّة على الإتجاهات، ثم يرميني في خضم نصّه لكي يُريني ـ في ضياعي ـ كم هو عميق، وشاسع! وهو لايحوك الكلام من نسيج شيطاني، غرائبي، غائص في ابهامه... حتى إذا ما قرأته خشيت من أن أصرّح بعدم فهمي ما يقول كي لا أُتهم بالجهل.

وهو لايركب أقداماً من خشب الكلام ويموهها بغية تقزيم القارئ، وإيقاعه في يقين من أنه (القارئ) صغير بعد على فهم قصد أو رؤية العمالقة!!

تقارب لغة رواياته بساطة الماء... ولكن في أرض عطشى، ولأُناس أحرقتهم الشمس.

وتداني روايته الحكاية... ولكن على لسان حكّاء عتيق خبر فنون الحكي، وأساليب القول، والأثر السحري للكلام على المخلوق... تماماً كخبرته ببنية الإصغاء لدى البشر، ومواقيته، وفواصله، وطرائق تجديده، وإنعاشه.

وتُغرم أعماله، في سفرها الطويل، بالمحطات التأملية، لالنلتقط أنفاسنا من عناء السفر... بل لنلملم برهات النظر في ذواتنا قبل أن تفرّ وتتبدّد، ونفرشها أمامنا، في رحلتنا خارج الرواية، فنرى كم كافحنا، وكم شقينا، وكم حلمنا، وكم كُسرنا، وكم عدنا لنعشق من جديد ما خذلته الحياة فينا.

أتكون تلك «بداهات» الإبداع الأدبي؟ يا لخيبة الأعمال العربية الكثيرة التي افتقدتها إذن!!

ربما لاتكون التلمّسات التي سقتها هي موجبات المكانة الرفيعة التي تحتلها أعمال عبد الرحمن في نفسي. ربما كانت موجبات أخرى لم أستطع تبيّنها. وما يهم أكانت الأسباب بيّنة لي أم لا، طالما أن الأعمال تدلف إلى روحي وتمكث في ذاكرتي؟!

إنني فخور بعروبتي لأن عبد الرحمن منيف ـ وغيره من المبدعين الحقيقيين ـ هم أبناؤها. فخور بهؤلاء الناثرين العظماء الذين واصلوا، بابداع، مسيرة النثر العربي الرفيع عبر التاريخ. وما أكتبه هنا لايعدو زهرة برّية أقدمها لمنيف ولقلمه ولإبداعه، نال جائزة الرواية العربية أم لم ينل... فهو ـ وغيره ـ نالوها منذ سنوات طوال مضت من هيئة قلوب قرائهم، وذاكراتهم ■■

مفهوم الرمز الديناميكي وتجليه في الشعر الفلسطيني الحديث

حلقة (٣)

(محمود درويش في الشعر الفلسطيني نموذجاً)

محمد جمال باروت*

وبوصفه شاعر قومه، وشاعراً - رائياً يقول بالشاعر - النبي ورؤياه التي تستشرف مسالك القوم ومصائرهم، ميتافيزيائيتهم وحضورهم الأرنطولوجي في العالم، فإن محمود درويش ألّه الأرض بالمعنى «الثيولوجي» للتاليه، فليست الأرض لديه سوى محط لقداسة، ولكلي متعال جوهري ينبع من ذاته اسمه فلسطين. لقد ألّه «فلسطين وحاول ويحاول كما هو كل راء عظيم لشعبه، أن يكون نبيهاً، فـ «فلسطين» جوهر ثابت أما البشر فمتحولون وطارئون، إنهم في أعظم قرابينهم تجليات «المعنى» (بالمعنى الإلهي الأفلوطيني المحدث) أي اسم من الأسماء الكثيرة للألوهة».

ولاتسعفنا المنظومة المعرفية والإيديولوجية لدرويش في فهم ذلك، فمنظومته عقلانية صرفة. غير أن «الأنا شخص آخر». ومحمود درويش في الشعر هو - بالتأكيد - غير محمود درويش في الحياة، وفي الحزب، وفي منظمة التحرير.

إن ما يسعفنا إلى ذلك هو نصه نفسه، إن نصه نتاج لـ «تناص» أو لتداخل نصي أي لشبكة عميقة مختزنة من النصوص، سواء كانت ذكريات قرية أم حياة أسرة أم تاريخاً حضارياً أم حدثاً سياسياً أم كتابات بالمعنى الضيق. فمحمود درويش نفسه ليس سوى لحظة في السيرورة التي نسميها النص، والسيرورة دائمة لابدء لها ولانهاية.

وإذا كان في كل ما يكتبه درويش شيء منه فإن هذا لايعود إلا إلى أن درويش الشاعر هو درويش آخر مختلف عن درويش الحياة.إنه درويش مكتشف لمنابع شعبه. ويكتشف الميتافيزيائي في أصغر الحسيات صغراً. إنه الشاعر أو نوع من الشاعر الرائي - النبي.

وليست لغة الشاعر - النبي سوى لغة الرموز الديناميكية، التي تتميز بأن حركتها خالقة للعالم وليس مجرّد تعبير عنه. يعيدنا ذلك إلى مسألة «الكلمة» أو «الفعل الشعري». درويش يرى الكلمة مضطلعة بوظائف الكلمة الإلهية الخالقة للكون. ويرتقي بـ «فلسطين» نفسها إلى كلمة خالقة للكون. فلسطين في رموزها الدرويشية فلسطينية بقدر ما هي كونية. وفلسطيني بقدر ما هو كوني. والفلسطيني هو بدء العالم ومأساته ورؤياه.

لعل ذلك يفسّر «الكنعنة» المهيمنة على نظامه اللغوي «السيميولوجي» الذي هو بالتأكيد نظام رمزي. فالكنعنة لديه هي المرجع البدئي الدفين للذات الجماعية بقدر ما هي منبع كمونية هذه الذات، إنها بلغة درويش «توراة الجذور» ولكن توراة فلسطينية.

وداخل ذلك نفهم تاليهه للارض، فالأرض - أصلاً، في نظام الرؤية الكنعانية هي الإلهة الكونية الأنثى، إلا أن درويش يغني الأبعاد الميتافيزيائية لهذا العنصر الحسي أي عنصر الأرض، بعناصر الرؤية الصوفية الحلولية الإسلامية فـ :

أنا الأرض
والأرض أنت

هي امتصاص وتحويل لمنهج الحلول الصوفي الإسلامي، الأرض هنا على مستوى المحور العمودي الإستبدالي للقصيدة وفضاءاته الدلالية المفتوحة تضطلع بوظيفة «الحق» أو المعنى «بالمدلول الصوفي الإسلامي للكلمة» أي مدلول «الله» الصوفي. وتغدو «أنا الأرض» تحويلاً وامتصاصاً لـ «أنا الحق» الحلاجية.

من هنا تكتسب الأرض في تطور من تطوّرات دلالاتها الضمنية خصائص «المعنى» بالمدلول اللاهوتي. فهي ماهية حسية ميتافيزيائية مجردة ومنزهة ومتعالية عن كل وصف رغم كل أوصافها ونقول حسية ميتافيزيائية في إطار النظام الرمزي الذي يعامل الرمز كاكتشاف للروحي في الحسي. من منطلق حضور كليتها الماهوية في أوصاف محسوسة وتعاليها في الآن ذاته على هذه الأوصاف. لو شئنا التعبير بلغة النظرية الصوفية الإسلامية. لقلنا إن العلاقة بين (الأرض) و (الإنسان)، بين «فلسطين» و«الفلسطيني» في النظام الدلالي المفتوح للرموز الدرويشية، هي من نوع العلاقة بين «المعنى» و«الصورة». فالمعنى مجرّد كلي كونه شاملاً ومنزّهاً في حين أن الصورة تجلٍ من تجلياته. الصورة هي الدليل المعرفي المباشرأو الحدسي للمعنى، إلا أنها ليست المعنى المنزّه. المعنى هو مصدر الصورة، إلا أنه يتخطاها، إنها بعض أوصافه الملموسة والمكشوفة. هذا التأليه لـ «الأرض» نجده جليّاً في:

هي الزرقاء والخضراء تولد من خرافتها/ وهي قرباننا في عيد حنطتها ، تعلمنا فنون/ البحث عن أسطورة التكوين، سيّدة على/ ايوانها المائي.

سيدة المديح، صغيرة لاعمر يخدش وجهها، لاثور/ يحملها على قرنيه، تحمل نفسها في نفسها وتنام/ في أحضانها هي. لاتودعنا ولاتسقبل الغرباء./ لاتتذكر الماضي.

فلا ماضي. هي ذاتها ولذاتها في ذاتها. تحيا فنحيا.

يكمن معنى المدلول الصوفي الإسلامي هنا في الماهية الذاتيةالإلهية للارض، واكتفائها بذاتها فهي نفسها في نفسها، وقديمة لامحدثة، أي بلغة القصيدة لاماضي لها، تتكون من ماهيتها المنزهة المتجلية في الصورة، ولكن المنزهة في آن. وهو ما يكشف عن الطاقات الخالقة للارض بوصفها رمزاً ديناميكياً واسعاً يشع بمجرة من الرموز الديناميكية اللامتناهية التي تقود الشعر إلى مغامرة اكتشاف المطلق. فالرمز الديناميكي بهذا المعنى هو رمز تكويني بالضرورة.

وفي قصيدة «رب الأيائل يا أبي... ربّها» تتولّد ديناميكية رمز «الأب» من عملية تخطي المعنى الصريح لـ «الأب» الذي هو (بشر+ بالغ+ مذكّر) إلى معنى المعنى أو الدلالة الضمنية. وبذلك تعمل الآلية الديناميكية لهذا الرمز على المستوى الثاني، فيتحول رمز «الأب» إلى دال حر يثير مدلولات متعددة ويستدعيها إلى مجرته الدلالية، إنه أشبه بمستودع دلالي تتداخل فيه دلالات الله والمسيح وتموز وعشتار أو عناة والأرض... الخ. وكل هذه الدلالات أنماط أصلية بالمعنى اليونغي للكلمة.

بهذا المعنى فإن وجود الرمز وجود دلالي أي قرائي، فلا تتكشف مخزنيته الدلالية المعقدة خارج عملية القراءة، ذلك أن رمز «الأب» هنا هو رمز يجمع بين عدة رموز لاحصر لها، ومن هنا مصدر هويته الديناميكية المفتوحة، فهو يمتص ويحول شبكة من الرموز الأصلية، ليس الإمتصاص والتحويل سوى آليتين أساسيتين لكل تداخل نصي intertextnel، وتنبع عمليتا الإمتصاص والتحويل مما يسمى في علم النفس بالإجتياف والإسقاط، فإذا كان الإجتياف يمثل ما نسميه سيميولوجياً بالإمتصاص، فإن الإسقاط يحيّن الرمز ويجعل منه رمزاً معاصراً أو حالياً أو راهنياً يمثل عملية التحويل. وبالتالي يكون رمز «الأب» الديناميكي هنا امتصاصاً وتحويلاً لظلال رموز متعددة يوحي بها الرمز نفسه ويثيرها ويستدعيها، وليست هذه الظلال من قبيل «المعاني بل من قبيل «الآثار الدلالية» التي تتميز بطابعها الكلي العائم مقابل الطابع المنطقي المركز لـ «المعنى»، وكأن دور الرمز هو دور بعث هذه الآثار من دون تحديدها، ولعل ذلك يذكّرنا بالوظيفة المزدوجة للرمز الديناميكي من حيث هي وظيفة

إيحائية واستمرارية في آن.

يتميز رمز «الأب» هنا تبعاً لذلك بوظيفته الإرجاعية المفتوحة، والوظيفة الإرجاعية تعريفاً هي قدرة الإشارة على التذكير بشيء غير ذاتها وقابليتها لذلك. وداخل انفتاح الوظيفة الإرجاعية لهذا الرمز، يتولّد أثر دلالي مسيحي بـ «الأب». تستدعيه دوال: شموع، الشوك، المعلق فوق صبار البراري من يديه، القلب المثقوب بالصبار، فآثار «الشوك» و «الصبار» و «تعليقه من اليدين» و «الثقب» تثير ظلال الصورة الذهنية لـ «الصلب» ونمطها الأصلي المتصل بـ «المسيح»، مما يستدعي الأبعاد الميتافيزيقية لـ «الأب» وهي أبعاد تولد الدوال الأثر الدلالي بها من خلال: ملء الأب للجرار بأول الزيت المقدس، ابتكار الكرم من الصخور، القمح، اصلاح غصن الدالية، احصاء ثريات العنب... الخ. وتستنفر برمتهامخزوناً ذهنياً معقداً عن جسد المسيح ودمه أي عن القربان، الذي يولّد بدوره أثراً دلالياً بالإفتداء. لايعني ذلك أن «الأب» رمز للمسيح بل هو مجرّد رمز أو اشارة سيميولوجية تولّد أثراً بظلال التجربة المسيحية المفلسطنة. ومن هنا تمتص اللغة الشعرية نبرة الأداء الإنجيلي للمسيح على صليبه «الهي.. الهي» «أتغفر يا أبي» «لم جئت بي»... الخ.

فـ «المسيح» في إطار هذه الدلالات الحرة وليس المعاني يستدعي نفسه من المخزون الذهني السياقي والمرجعي في عملية القراءة فلسطينيته. من هنا يمتص رمز «الأب» هذه الظلال، بقدر ما يحولها ويمنحها وظيفة إرجاعية أخرى إلى «تموز» أو نعمان «الكنعاني» أو «عناة» فـ «الأب» هو «ابن كنعان القديم» كدلالة على جذوريته ورسوخ هذه الجذورية في الأرض.

فيكنعن محمود درويش فلسطين بقدر ما يفلسطن أنماطها الأصلية «المسيحية» و «النعمانية» أو «التموزية» و «العنانية» أو «العشتارية».

«انهض ليرجعك الغناء كشقائق النعمان في أرض تبنتها وغنتها لتسكنها السماء».

يتولّد بـ «شقائق النعمان» أثر دلالي بالإنبعاث الكوني الذي ينبت من دم «تموز» أو «البعل» و «نعمان» هو الإسم الكنعاني لـ «تموز» وشقائق النعمان هي «جراح الحبيب» الكنعانية التي يستخدمها درويش في قصيدة أخرى. فنهوض الأب وهو المعلق على صبّار البراري من يديه. يرنو إلى أرضه كفردوس مفقود ويتشبث بدواليها وحجارتها وحظائرها وقمحها، هو انبعاثه ورجوعه كتموز أو كـ «نعمان»، أي كفعل قرباني افتدائي، فتولد الحياة هنا من فعل الموت الإفتدائي. وتنطوي شقائق النعمان على قداسة، تتبناها الأرض وتسكن في السماء فـ «الأب» هو لغز الميلاد.

ليست الآثار الدلالية المسيحية والتموزية لـ «الأب» سوى قدرات إشارة الأب أو رمزه الديناميكي على التذكير بغيرها، وهي تلتقي برمتها في صورة الأرض. تموز أساساً ينهض في الطبيعة والمسيح ينهض في الروح، كلاهما نمط أصلي للانبعاث والنهوض والقيامة تسعفنا هذه الوظائف الإرجاعية في إثارة دلالة أخرى يكتنفها رمز «الأب» وهو رمز «الأرض» والتجذر بها. فـ «الأب» في القصيدة ووظائفها الإرجاعية هو: توراة الجذور، والذي يعلّم كتاب الأرض من ألف ياء. بين الكتاب والتوراة تنفتح دلالة المقدس ويؤله محمود درويش فلسطين بقدر ما يؤنسنها. وتجذّر الأب في الأرض هو تجذّر اخضرار حقولها وأيائلها، ودواليها، وشعيرها ومائها ونعناعها وعنبها وأزهارها، فالتجذّر هو «البداية البعيدة» للأب ابن كنعان القديم. «توراة الجذور» و «لغز الميلاد» الذي هو وفق القصيدة قبل الزمان وههنا يبقى.

وإذا كان الإسقاط بمثابة تحيين للرمزوجعله معاصراً أو مستمراً ذا ديمومة بلغة نظرية الرمز الديناميكي في الرمزية، فإن الوظائف الإرجاعية للرمز، تدمج ما بين التاريخ والحاضر، لتسقط كل مجرتها على علاقة الفلسطيني بأرضه. فتكون ماهية الفلسطيني هنا هي الأرض. ومن هنا النشيد الجذوري للأب المنفي عن أرضه والمغرّب عنها والمقتلع منها:

أنا من هنا... أنا ههنا... وأمشط الزيتون في هذا الخريف

أنا من هنا... وهنا أنادي أبي: أنا من هنا

وأنا هنا. وأنا وأنا. وهنا هنا. إني أنا. وأنا هنا. وهنا

أنا. وأنا أنا. وهنا أنا. وأنا هنا. وأنا أنا

ودنا الصدى، كسر المدى. قامت قيامته. صدى وحده الصدى

دوى الصدى... أبداً هنا أبداً هنا... وغدا الزمان غدا

بدا شكل الصدى بلداً هنا ورد الردى، فانكسر

جدار الكون يا أبتي صدى حول الصدى ولتنفجر

أنا... من... هنا... وهنا... هنا... وأنا... أنا... وهنا... أنا... وأنا... هنا

ولعل التوترات التنبيرية لـ «أنا» «هنا» «ههنا» وهي توترات ايقاعية، تدل في إطار البنية الرمزية، على الوظيفة الإيحائية والإستمرارية للإيقاع، فتتكثف الدلالة الضمنية المتعددة الأبعاد للأب في معنى صريح متوتر جازم، هو نتاج تحيين الرمز، والإسقاط عليه وإحالته إلى التجذر في المكان (هنا. ها هنا). وإذا كانت الوظائف الإرجاعية لرمز الأب تحولات من المعنى الصريح إلى معنى المعنى فإننا هنا إزاء تحول من معنى المعنى إلى المعنى الصريح.

هذا التحول من الدلالة الضمنية إلى المعنى الصريح. سرعان ما يعقبه استمرار في الدلالة الضمنية وآثارها الدلالية. وهنا يتحول رمز الأب وقد اغتنى بالدلالات الكونية والميتافيزيائية للأرض. إلى الأرض نفسها لكن في صورتها «العشتارية» أو «العناتية» الإنبعاثية. فـ «الميلاد» الولادة الجديدة للشعب والأرض هو في القصيدة فعل انبثاقي «يستدعي ذلك الفعل الفدائي الفلسطيني المكافح بشكله الفردي (ثورة الفدائيين) وشكله الجماعي (ثورة الشعب ـ الانتفاضة)».

فـ «لغز الميلاد» في «القصيدة» «ينبت مثل بلوط يشق الصخر». و «يصعد» و «الأرض تكسر قشر بيضتها». فالانثقاب بالصبار والشوك في الوظيفية الإرجاعية الأولى لرمز «الأب» إلى ظلال «المسيح» هي من الطبيعة البنيوية نفسها لـ «الشق» و «الكسر» ويولد ذلك آثاراً دلالية بقساوة محنة الفلسطيني واقتلاعه من ماهيته أي من ارضه ووجوده، فلا تكون الولادة الجديدة للفلسطيني (الأب) الأرض ممكنة خارج الفعل الإفتدائي، فالأرض التي تولد وتكسر قشر بيضتها، تولد من القربان في عيد حنطتها. تتلازم دلالتا الأرض والقربان هنا. يكون القربان شرط الولادة الجديدة للأرض، التي هي أرض من الشهوات.

ارض من الشهوات، كنعانية، ترعى الأيائل والوعائل

أرض من الكلمات...

فالدلالة الضمنية لـ «أرض من الشهوات» هي دلالة «عشتارية» أو «عناتية» صرفة، تسترجع الدلالة العشتارية ـ العناتية للارض المنبعثة من الجنس كفعل كوني خالق، وقوة هذا الفعل هي نفسها القوة الإلهية لـ «الكلمة» أو «اللوغوس» أو لما يسميه درويش نفسه بـ «الهوية». ولا أدل على امتصاص الأنماط الأصلية وتحويلها في رمز الأب الديناميكي المتحول والحركي للغاية، من أن درويش يستبدل بـ «الغزال» وهو أحد تجليات «تموز»، بالأيائل وهي حيوان ماعزي جبلي، ذلك أن درويش هو ابن الجليل الجبلي، والزراعة بين الصخر واطلاق «الأب» لـ «الأيائل» هو اطلاقه لـ «غزلان» جبلية جليلية هي في بنيتها الأسطورية كائنات تموزية أو نعمانية قربانية وانبعاثية في آن، تولد الحياة من موتها.

هذه الوظائف الإرجاعية لرمز «الأب» اي قدرة الرمز على التذكير برمز غيره، تبين عمقه الديناميكي. ولايعني ذلك أنه رمز عفوي بل هو رمز مقصدي، إلا أن مقصديته ثاوية عميقة في آلية تحولات الدلالة الضمنية، فيكون الرمز هنا حسب القصيدة محكاً لـ «اسطورة التكوين الفلسطينية» التي يصبح فيها «البراكسيس» الشعبي الجماعي تجلياً لحلم أو لماهية تكوينية تفعل في الجماعة وتحدّد سلوكها وتنسج كلية أهدافها.

... يتبع...

• كاتب وناقد سوري

"الفلسطيني المستعار"!

فعلاً، لماذا لم يكتب الفلسطيني - حتى الآن - الرواية التراجيدية لشعبه؟ لماذا لانجد - حتى الآن - سوى شذرات من الصورة، أو اجزاء منها موزعة هنا أو هناك، عند غسان كنفاني، أو أميل حبيبي، أو جبرا ابراهيم جبرا؟ لماذا لانجد الصورة شاملة، متكاملة، تحكي مأساة النزوح والتشرّد، وقصة تكوّن الشعب وهويته؟!

لماذا لانجد رواية فلسطينية تشكّل صدىً عميقاً لتعقيد وإشكاليات المسألة؟ تحكي تيه الشتات، وآلام التشبث بالأرض تحت سلطة الإحتلال، وتجمع بين وجهي المأساة.

هل كان علينا الإنتظار خمسين عاماً، حتى يأتي «الفلسطيني المستعار» كي يكتب هذه الرواية.

وتعبير «الفلسطيني المستعار» أطلقه الروائي إلياس خوري على نفسه، بعد صدور روايته الجديدة «باب الشمس» عن دار الآداب في بيروت، وذلك في معرض تساؤله عن أسباب عدم كتابة الفلسطينيين لروايتهم بانفسهم، فهل ثمة عقم روائي، يعكس العقم العام الذي تحدّث عنه خوري في روايته؟!

السؤال لاينبع من إقليمية ضيقة، ولايُسقِطُ عن الآخرين حق انتمائهم إلى فلسطين كقضية قومية وإنسانية، وإنما هو سؤال الدهشة، أو الخيبة. سؤال الذات التي غرقت في مستنقع مشاكلها وأحزانها، إلى درجةٍ فقدت معها فاعلية التأمّل، وإعادة إنتاج المشهد من داخله فانتظرت خمسين عاماً حتى جاء من كتبه من خارجه، بعد أن تفاعل مع تخومه، واكتوى - ربما - بتشظياته.

رواية إلياس خوري، أعادت كتابة التاريخ الفلسطيني، لكنها لفتت في الآن ذاته الأنظار إلى التقصير المفجع على صعيد الرواية الفلسطينية.

علي الكردي

بديلنا لـ أحمد قطامش



● عن دار كنعان بدمشق، صدر حديثاً كتاب جديد للمناضل أحمد قطامش القابع في سجون الإحتلال بعنوان: «بديلنا»، والكتاب حسب الناشر «صياغة لخطوط برنامجية واضحة وصحيحة، تتمايز عن رؤى القوى الإجتماعية الأخرى بما يتسق مع المضمون الطبقي والفكري لليسار وتسليح قوى الشغيلة والفئات الأكثر انسحاقاً وتسليح شعبنا الذي اقتلع من أرضه بمرشد نظري، يعبر حقاً وبانسجام عن أهدافها ومصالحها كي تعمل لحسابها فلايحتويها أو يجيّر نضالاتها أحد لمصالحه الخاصة الضيقة، وبالتالي و «بديلنا» يتبعها على مسافة من القوى البرجوازية بشتى تلاوينها».

لا... لن ألبس عباءتكم



● وكتاب آخر للمناضل أحمد قطامش، صدر أيضاً عن دار كنعان بدمشق بعنوان: «لا... لن ألبس عباءتكم»، وهو عبارة عن صفحات من تجربة هذا المناضل في أقبية التحقيق في مواجهة رجال «الشين بيت»، مائة يوم من التعذيب والصراع، لم يترك خلالها رجال المخابرات الصهيونية وسيلة إلا واختبروها لإرغام قطامش على الحديث، لكنهم اصطدموا برجل عنيد، ساخر، مثقف، ذكي... كانت جولات التحقيق صراعاً قاسياً وشاملاً.

في هذا الكتاب يروى أحمد قصة المائة يوم. يروي بجسده وعقله كيف يتحوّل الوعي والإرادة إلى قوة. كان اختباراً دامياً للقناعات وللكلمات التي يجب أن تعبر عن معانيها.

وكان له ما أراد فانكسر الإرهاب الصهيوني أمام العينين الهادئتين وهما تدافعان عن الحق والأمل والكرامة.

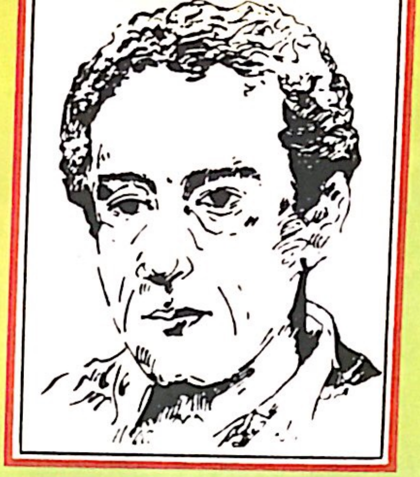
قوانين سبقت حمورابي



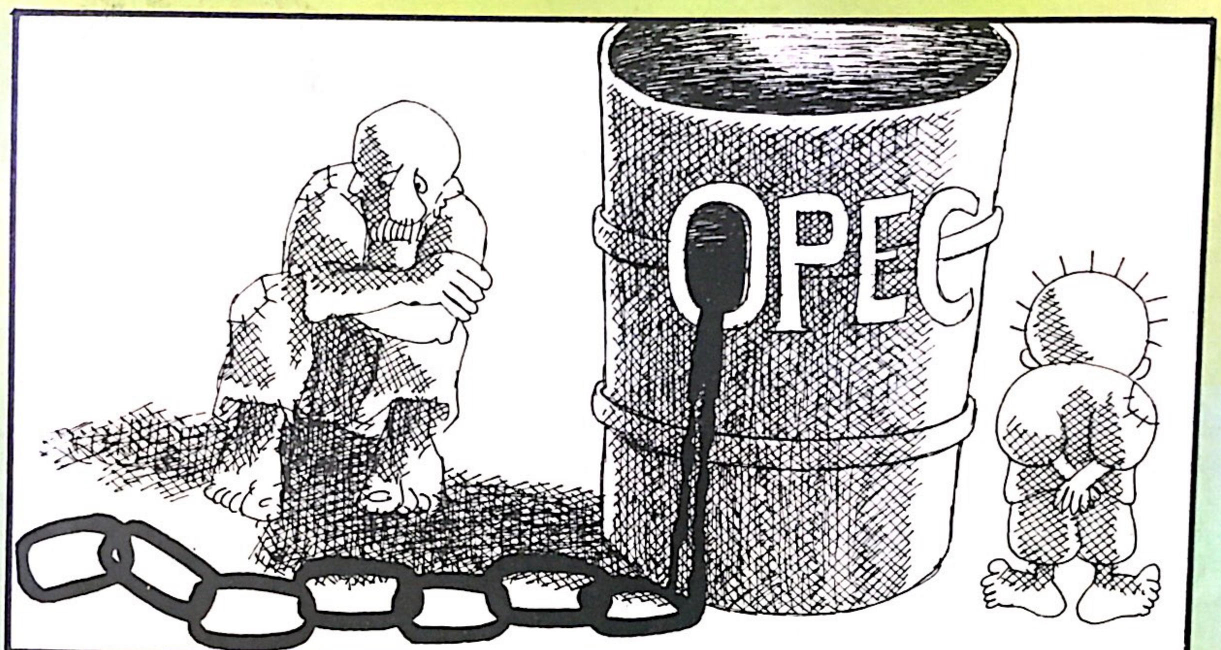
● عن منشورات عبد الحكيم الذنون، صدر حديثاً كتاب جديد بعنوان («قوانين سبقت حمورابي»- أوروك أجينا، أورغو، بيلا لاما، لبت عشتار) للباحث والمؤرخ عبد الحكيم الذنون.

مسابقة «شبابيك» لإبداع الشباب

● أعلنت جريدة «شبابيك» الأسبوعية التي تصدر عن مؤسسة «مبدعون» في مالطا وتوزع في أنحاء الوطن العربي عن مسابقتها السنوية الخاصة بإبداع الشباب وتشمل، القصيدة، القصة القصيرة، الخاطرة، المونتيف، والكاريكاتير... وقد خصصت «شبابيك» جوائز كثيرة للمبدعين الشباب ممن لاتتجاوز أعمارهم الثلاثين عاماً... تبلغ قيمة الجائزة الأولى ألفي دولار، والثانية ألفاً وخمسمئة دولار، والثالثة، ألف دولار، إضافة إلى ما يقرب من ثلاثين جائزة أخرى... وقد اشترطت «شبابيك» جريدة كل الشباب العرب أن يكون العمل جديداً غير منشور من قبل، وأن يرفق بكوبون «شبابيك للمسابقات»، وتركت للمبدعين الشباب حرية اختيار الوضوع وحجمه أو عدد صفحاته، على أن ترسل الأعمال المشاركة باسم المشرفة على التحرير حصراً... آخر موعد لقبول المساهمات هو ٣٠ أيلول/ سبتمبر ١٩٩٨.



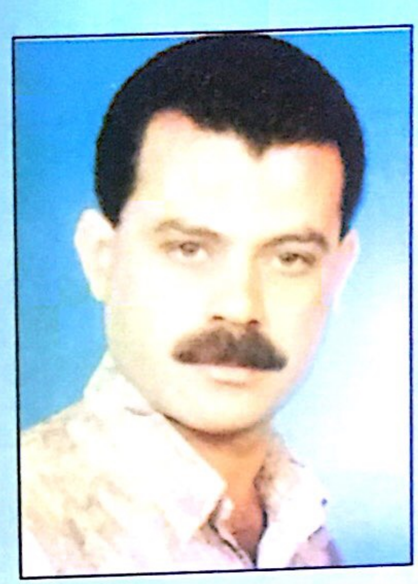
ناجي العلي على سفر وواقع الحال مقيم





تبتعد كي نراك أكثر..

مروان عبد العال



يا أبا علاء،

تمر خفيفاً، وديعاً، هادئاً، طرياً كنسمة صيف، أو كومضة فرح، كان العمر قصيراً، لكنه عصر من الحب.

تبتعد الآن لكي نراك أكثر وضوحاً، لوعي والتزام ووعد، صافياً كسماء، تغيب ولا تنسى، تترك لنا وديعة جميلة، تجربة حزبية يشتد عودها، نزيهة، نظيفة، واعدة، سيرة دمثة وخلق نبيل.

سنوات تصارع الألم دون أنين، تؤسس تجربة جديدة، كتوم حتى في الوجع، لأنك كنت تدرك، أن العمر يكبر بتجربة كبيرة، وعمل كبير، تنافس الجميع بشرف، كأنك تسابق الزمن، تنتصر على المرض، تهزأ منه قائلاً: «نحن الشباب لها» وتبقى على رأس المسؤولية حتى النبض الأخير.

طوبى لك...

يهيأ لي الآن أني كنت قد رأيتك يوماً، تعرفت على وجهك الدائم الابتسامة، في زمن مضى، تاريخ مجيد، مع أولئك الذين أعطوا فصدقوا، ملاكاً قادماً من عصر ثورة القسّام، وسليل الشهداء وقافلة المناضلين.. يحملون صدق الأنبياء.

صديقي، أي موت أوصلك إلينا، فتجاوزنا، بأنك مبكر في كل شيء، في انتسابك، في التزامك، مبكر في حمل عبء المسؤولية، ومبكر في الرحيل، تغمض عينيك وهما مقبلتان على طريق تتضح معالمها برؤية جديدة. أعرف أنك لم تستكمل قراءتها بعد، لكن شبابك كان يتدفق كإشعاع، ليفتح بأحزمة رجال، مجرى للضوء، ودرباً للشمس والحقيقة.

رفيقي محمد،

تبتعد كي نراك أكثر، تذوب ويزداد الحلم رمزية وقداسة، أتذكر لحظة أن ترافقنا في رحلة إلى السويد، أخذنا قراراً أن «نهيّص» وأنه مهما كانت الرحلة قصيرة والعمر قصير، لنمض وقتاً جميلاً، طويلاً بأكثر قدر من الفرح. لم نستطع، أتدري كيف طاردنا حزن المخيم وتلبسنا جنون الحلم؟! نطل من نافذة الطائرة، نجوب في القطارات، نسير في شوارع المدن، ننظر إلى وجه الأطفال في المدارس، والحدائق.. نقول: عالم جميل، وسرعان ما يحضرنا مخيم الشبريحا، وبؤس المنافي، فنستعير عبارة الشهيد غسان كنفاني لنرد على ذاتنا: إنه «عالم ليس لنا». بقي إحساسنا بالغربة وأن داخلنا (وطن محتل) يتموضع في قلوبنا وعقولنا، هو الحلم، بقي يحوم حولنا دافئاً يسكن روحنا المرتعدة، مهدئاً لقلقنا وحزننا المخيمي اليومي.

عزيزي،

كنت تدرك شفرة الوقت القاطعة، فتسير على حدها، نصف النهار الأول للوظيفة الاجتماعية في مؤسسة «الأنروا»، تنصهر فيها بين خلايا البؤس في مجتمعنا، تخفف آلام الناس، ونصف النهار الثاني، تحمل عبء المسؤولية، توازي بين مسؤوليتين، لا تأكل إحداهما الأخرى، وان انصهرتا، ففي وعي الوظيفة الوطنية الصادقة، والأداء السليم للمؤسسة، فتأخذ من الأولى لتضيف للأخرى، وبالعكس.

سلاماً لك،

كأنك تدري أن الزمن محدود والعمر محدد. قطعت الوقت ولم يقطعك، بأن كنت مطلقاً في عطائك.. هي وديعتك التي لا تتلاشى وأحلامك التي لا تغيب.. ما زلنا على الوعد الذي هو حق علينا، شعبك، حزبك، رفاق وأصدقاء، والعائلة التي زرعتها في قلوبنا. نمضي سوياً على ذات المنهج لتجسيد الحلم على الأرض.. فطوبى لك في السماء.